روايات عبير

٤٠٤

الماضي ... الحاضر ؟!

ليندا هوجيز

www.elromancia.com
مرمورية

روايات عبير

NO:404

إنه صراع الرغبة في الوصول إلى الحقائق الكامنة والمجهولة من أجل البقاء في حياة رغدة يسودها الوفاق الاجتماعي . فالهبت جوامع المعاني الكلية الجميلة رونقا . ليجمع في النهاية الدفء بين "إستير برايت" التي لاحقتها الأحزان من كل صوب ... حتى بزغ الأمل مع شروق الشمس التي أذابت جليد الوحدة والسأم ، وتلتقي بحب قديم بعد موت زوجها "سيث توبان" وابنها. وبعد أن استقرت الأحزان والآلام في قلب "إستير" فقد عانقت "إستيربرايت" الأيام الجميلة مع الدكتور "دان جاكوبي" ..

www.elkottob.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر

CanadA	5S	U.K	1.5
France	15F.F	Greece	1200Drs.
CYPRUS	1.5 P.		

المقدمة

إن أمي تقول : إنني محظوظة وان عليّ أن أكون ممتنة لذلك . كل شيء يعتمد على الجانب الذي ناخذه منه . لست محظوظة لدرجة أستطيع عندها السؤال : عمن هو أبي ؟ ! وإنني اعيش في "بل وود" ولكنني سعيدة ، لانني موجودة ، ولانني ماهرة بشكل كاف ، وبصحة جيدة لكي أرحل . وصوتي لا يسترعي الانتباه ، و لكنني مسرورة ، لأن عندي البيانو الخاص بـ "آدي ماركام" وان باستطاعتي العزف وكتابة بعض الكلمات لست أظن ، أن لدي الحظ الذي تتحدث عنه أمي ولكن الأمور كانت من الممكن أن تكون أسوأ . إن حياتي لن تظل دائما هكذا إذ لابد في يوم من الأيام ، أن أصبح غنية ، مشهورة ومحبوبة. لقد فاض النهر قبل البارحة وتسبب في خسائر كثيرة . لماذا تقوم الشركة بالبناء بالقرب من النهر هكذا؟ إن هذا الأمر فوق احتمالي. لقد عرضت أمي أن نقيم بمسكن آخر ، وقد أجابوها بانهم لايفضلون تعريض "جيول" الصغيرة جدا و البريئة جدا لمثل هذا الموقف الذي قدلا تتفهمه. إن هذا قد أثر في أمي رغم أن ذلك يدعو للسخرية والضحك، لو يعرفون كم هي جريئة هذه البريئة "جيول" .. لوقعوا صرعى .

الغلاف الأمامي

مقطع من مذكرات فتاة صغيرة :

اليوم - أثناء حصة التربية البدنية -أسرت" الين" إلي بان "جيف والستون" يحبني .

احتفظت له بمكان إلى جانبي في الحصة التالية ولكنه لم يحضر.

في عطلة نهاية الأسبوع الأخيرة ، صحبنا بابا إلى "نيويورك" لحضور حفلة توزيع "الأوسكار".

ولكن راي والدتي هو الذي طغى في النهاية .

لقد ذهبنا لرؤية خالي "ايدي" وقد عرض علينا ابن خالي صورا للمبنى الذي سوف يقوم بهدمه لإقامة بناء آخر .

www.elromancia.com

شخصيات الرواية

١ - إستيربرايت "التي فقدت ابنها وزوجها في حادث أليم وذاقت ويلات فراقهما وتركت وحدها تواجه عواصف الحياة .

٢ - الدكتور "دان جاكوبي" الذي ظهر في حياة "إستير برايت" أثناء عنايته لها عندما أصابها الوهن وبالمصادفة تبين أنه الوحيد الذي كان على علم بالمكان الذي اختفت فيه " إستير برايت" بعد حادث زوجها وابنها وتشهد ساحة الحب أسمى العواطف بينهما ...

٣ - "آدي ماركام " التي كانت في مستهل حياتها تدير مكانا موبوءا في "بل وود" وكانت تتردد عليه "لورا برايت " والدة "إستيربرايت " .

٤ - "سيث توبان " زوج "إستير برايت " كان يعمل كاتبا وملحنا وهو ذو موهبة والذي راح ضحية حادث هو وابنه "دوني" أثناء قيادته السيارة .

٥ - "لورا برايت " والدة "إستير " والمتهمة بغير شرعيتها وكانت تتردد على المكان الموبوء الذي كانت تديره "آدي ماركام " في "بل وود"

مصطحبة إحدى الفتيات قبل حصولها على عمل في مكاتب مناجم "بل وود" .

٦ - "جلوريا بل دون" والصراع المحموم بينها وبين "إستير" والذي يشهد أحداثا مثيرة ومواقف تدعو للدهشة .

www.elromancia.com

الفصل الأول

إنهم ينظرون إليها ، إنها تشعر بعيونهم مثبتة عليها ولكن لم تعرهم اهتماما .

- لقد حضر نفر من الناس اجتمعوا لمشاهدتها هي لاغير !

وعلى الرغم من ذلك كان الأمر مختلفا ، لم تكن الشابة تفهم أبدا لماذا كان الاقبال عليها لهذه الدرجة ؟ ولماذا في شهر فبراير؟ - رباه .. ! الطقس بارد هنا . لقد كانت تشعر بانها ضعيفة ومنهكة القوى ، وبصرها زائغ هنا وهنا .

لقد كان قائما هنا ، وير صدها ، بينما هي تعبر الشارع ببطء إلى السيارة "السبور" الصغيرة الحمراء .

لقد كانت فارعة الطول وشديدة النحافة ولونها شاحب .

وذات شعر منثور فوق وجهها دون أن تعيره أي اهتمام .

كانت الشابة ترتدي بنطلونا "جينز" زاد من مظهرها النحيل وكنزة صوف سميكة ، كما لو كانت لا تهتم بالبرد . وهناك عينان مثبتتان عليها ، رأها تتعثر عدة مرات قبل أن تبلغ سيارتها .

ما إن كادت تستقر أمام عجلة القيادة ، حتى تركت الفتاة نفسها

تسقط برأسها عليه ، وبما انها لم تنطلق ، جاءه الحدس بان شيئا ما ليس على ما يرام ، اغمضت عينيها مغمورة بالضعف .

صاح رجل وهو يحاول إفاقتها :

- استيقظي يامدام "برايت" .

- من ذا الذي استطاع أن يبدو بهذه القسوة ؟

- ألا يعرف مع من يتعامل ؟

تمتمت غير قادرة على فتح عينيها من فرط التعب :

- لاتلمسني .

- عندما تتحسن حالتك : قال الرجل وهو مستمر في ربته خديها حتى تسترد وعيها :

تمتمت "إستير" ، حاولت أن تدافع عن نفسها .

- حسنا ، قليل من الشجاعة . إنك محمومة .

ثم استطرد متسائلا :

- منذ متى وانت مريضة ؟

قالت وهي تعاني : آ .. آه .. مريضة ؟ اتركني .

وقبل أن تدرك ما يحدث ، قام بوضعها برفق على المقعد المتحرك.

كان الرجل طويل القامة ، اسمر ، واستقر في مكانه وطلب منها المفاتيح .

عيناه السوداوان كانتا قد تحولتا نحوها ، كان ينظر إليها بحدة قالت "استير" :

- من انت ؟

أجاب :

- انا الدكتور "دان جاكوبي" ، إنك بحاجة لإسعافات .

سالت وهي تبحث في مذكراتها : الدكتور "إيفانز" .. هل مات ؟

اجاب: فقط تقاعد .

تركت "إستير" المفاتيح تقع في يد الدكتور الكبيرة والرقيقة، واستندت إلى ظهر المقعد في حالة تعب وأغمضت عينيها مهزومة من القدر .

- ماحدث .. مايحدث ؟ هذه الكلمات اضنتها كثيرا وملأت حنايا

www.elromancia.com

قلبها .لم يبق الآن سوى أن توليه الثقة .

بعد هذا العارض مباشرة بدات تهذي . الوجوه والناس كانوا يتراقصون أمام عينيها ، وقد بدت بمخيلتها ظلال من الماضي الجريح

وكان هناك الطبيب ليسهب في التلاغي ليستاصل آلامها ويداه الناعمتان اللينتان تداعبان خديها برقة فكانت تشعر بدبيب الحنو يسرى في عروقها رغم أنها مستلقية في الفراش كالوردة الصماء. ثم قال : "أدي ماركام" جاءت لعيادتها .

- كانت السيدة العجوز تكلمها بخشونة ، ولكن دون قصد في الغالب إنها ببساطة عادتها .

ولكنها رات ، الذي بدا لها غريبا .

"إستير" كانت أيضا تسمع صوت والدتها دون رؤية وجهها أبدا .

وقد حلمت بأن أهل البلدة قد اجتمعوا للانقضاض عليها ، لأنها عضت "تومي بل دون" مما دفعها للهرب .

- نعم كان عليها الهرب ، وترك البلدة قبل اكتشافهم الحقيقة .

وفي ذلك الوقت ، أمسكت بها أيدي ندية ومطمئنة هنا . استرخت الشابة .

- هل تشعرين أنك أحسن حالا ؟

سمعت "إستير" السؤال ولكنها تجاهلته آملة أن يذهب المزعج .

قال "دان جاكوبي" :

- الناس يظنون أنك نابغة ولكن اسمحي لي أن أقول لك : إني لا أظن ذلك ، لأن النابغة لايترك نفسه مريضا لهذه الدرجة .

قالت "إستير" بضيق وهي منغمسة في وسادتها :

- من يطلب رأيك ؟

- لا أحد ، ولكن لو أن أحدا طرح علي مثل هذا السؤال الذي كنت سأجيب عنه ..

فتحت "إستير" عينيها ونظرت له .

وقالت :

- ذكرني باسمك !

- "دان جاكوبي" .

- هل أنا لازلت في "بل وود" ؟

قال "دان" :

- نعم .

- إنك خلقت لتكوني بـ "بل وود" . إنها في أغلب الظن البلدة الوحيدة التي تستقبلك بهذة الحفاوة .

قالت ساخرة وبينما كانت تفكر :

غريب أمر هذا الطبيب الذي يرتدي قميص رياضة (سبور)في ساعات العمل ، في ذات الوقت الذي ينبغي فيه الاعتراف بانها تراه في هيئة رجولية ناضجة . ثم حدثت نفسها وقالت : يكفيني نميمة على الدكتور "دان" يا "إستيربرايت" .

إنك تدينين له بالحياة .

إذن ليس من الكياسة والفطنة شكره بهذا الشكل ، قاطعت "أدي ماركام" وهي تدخل بينما كانت تحمل طبقا .

- لوت "إستير" وجهها ألما وهي تحاول أن تنتصب لترى "أدي" . هذه الحركة تتطلب مجهودا كبيرا جدا وهاهي ذي تقع على الوسادة وهي تئن من الألم .

فضلا عن أنها تعاني الضعف مثل الهرة ، ولكنها أيضا كانت في حاجة إلى رحمة هذا الطبيب الجذاب ورحمة "أدي ماركام" .

قال "دان" وهو يرفع الأغطية ليساعدها على الجلوس :

"أدي" على حق عندما طلبت منك الاسترخاء والسكون وأنا أتقاضى دائما أجرا للعناية المركزة .

قالت "إستير" في تهكم :

- هل تقبل الشيكات ؟

أجاب "دان" !

- أنا لا أقبل أبدا الشيكات "الأمريكية" .

ووجهت إليه نظرة شك !

قال "دان" :

- هكذا لايبقى إلا المقايضة ؟

قالت "إستير" وقد توهجت عيناها الخضراوان بلون اللوز من التفكه،

www.elromancia.com

وفجاة قالت "إستير" مقدرة الطبيب الذي يبدو جذابا جدا تحت مظهره الخارجي الهادئ : انت طيب النفس ومزاح وضحوك.

قال "دان" : لقد منحتك مساعدتي وانقذتك من المتاعب ولا أجد منك شيئا من التعاون .

قطبت "إستير" حاجبيها ، ثم اتسعت عيناها وهي تواجه نظرة "دان".

- إنك منهكة ، وعندك سوء تغذية وكنت على وشك أن تموتي ، بسبب الالتهاب الرئوي .

- إن ثمن خدماتي هو مساعدتك على الشفاء .

وفي سرعة البرق أخذ كلامه طابع الجدية .

- أريدك أن تساعدي "أدي"

وتناولي ما تعطيه لك ، ثم استريحي عندما تطلب منك ذلك .

- خذي عقاقيرك وابقي في الفراش .

استغرقت "استير" في التفكير وهي تمرر ناظريها لاول مرة حولها .

كانت الغرفة بها شيء مألوف وهذه الملاحظة حالت دون خروج إجابتها .

هي تعرف انها ليست عند "أدي" .

على كل حال ، لقد تعرفت على الغرفة ، المنظر من النافذة ... ولكنها .. قالت باستغراب :

- هذا منزلي .

شعرت الشابة بالضعف من جديد ، هل مازالت تحلم ؟

قال الطبيب :

- لا.. إنه منزلي أنا .

وتابع الطبيب نظراتها وكان مدركا لتركها . هنا كثير من الذكريات - منزل والدتي ، حجرتي العتيقة ... مضى وقت طويل.. وافكارها قطعت بشكل فجائي من قبل "أدى" التي وضعت لها الطبق فوق ركبتيها .

كان "دان" قد قام بجهد شاق في عملية تجديد وإصلاح المنزل حتى أصبح الآن أجمل منزل في البلدة بعد المنزل الكبير .

- إذن لا تفسديه .

أخذت الشابة تكتشف الطبق حيث كان موضوعا فوقه كاس شراب هلامي ، فواكه حمراء وقدح شاي ذي رائحة ذكية .

أجابت "إستير" وهي مطرقة في أسى :

- أمي كانت تريد ترميم المنزل باي ثمن ، لا أعرف لماذا ...؟

- سوف تجد مدام "برايت" ألما ولاشك عندما تاكل الوجبة .

- هل تستطيعين مساعدتها ؟ عندي مرضى يجب أن أراهم .

قال الطبيب بحدة :

- استدعيني عند الحاجة .

لم يكد يصل إلى الباب حتى سعلت الشابة بشدة مما منعها من أن تسترد انفاسها .

قال "دان" :

- استرخي وحاولي التنفس بعمق .

ولكنها لم تنجح سوى في أن تحدث سعلة جديدة .

مدلها دان يد المعونة وراء ظهرها ومدلها ذراعه بينما هي تحاول التنفس .

قال "دان" موضحا :

- إنه سعال تشنجي ، وسوف تواجهينه حتى تتماثل رئتاك للشفاء .

لاحظت "إستير" باسى بان نبرة صوته كانت أكثر برودا .

لقد بدا أكثر شفقة عليها .

- تناولي طعامك ، سوف أرجع فيما بعد .

- حسنا .

المرأتان شاهدتاه يخرج .

قالت "أدي" :

- إنه رجل جيد .

- من الصعب الحكم من خلال هذه المدة القصيرة .

قالت "إستير" :

- إني أعتقد أنك في غاية التعب لدرجة لاتمكنك من مواصلة حرب كلامية ، ولكنك سعيدة للكلام معه . تساءلت "إستير" : هل أتاهنا منذ ثلاثة أيام ؟

www.elromancia.com

اجابت "أدي" : ثم استطردت .

- نعم ، تعلمين أن الطبيب كان من الممكن أن يضعك في المستشفى .

- لقد عرض علي أن يدفع لي مبلغا كبيرا جزاء رعايتي لك ، ولكني اجبته باني قد سهرت عليك طفلة ، وعلى والدتك ، وأن باستطاعتي القيام بذلك من جديد بدون الحصول على أجر .

اخذت "إستير" تتطلع إلى العجوز التي لم ترها منذ زمن طويل، "أدي ماركام" كانت متولية إدارة مكان موبوء في "بل وود" في مستهل شبابها .

- لورا ، والدة "إستير" ، كانت إحدى الفتيات المترددات على هذا المكان قبل حصولها على عمل في مكاتب مناجم "بل دون" . بالرغم من ماضي "لورا برايت" وحقيقة انها كانت طفلة غير شرعية ، فإن الشابة أدركت أن "أدي" كانت من الأشخاص القلائل الذين كانوا دائما يوجهون كلمات طيبة لأمها . كانت طويلة القامة ونحيفة ، ملابسها البسيطة والمحاكة جيدا وشعرها الأسود المعقوص بعناية .

لم يتغير بها شيء اللهم إلابعض الشعيرات البيضاء والهيئة المتعبة التي تبدو بها .

وجهها منمق بطريقة تبرز عينيها الزرقاوين ، أنفها المستقيم وشفتاها الجذابتان .

قالت "إستير" :

- شكرا "أدي" ، لما تفعلينه في الحاضر بقدر مافعلته في الماضي ، يبدو أن الأمور تسير على مايرام بالنسبة لك .

قالت "أدي" :

- نفس الشيء بالنسبة لك .

لم يسمع منك منذ وفاة والدتك التي أقمت لها جنازة لائقة .

لاذت "إستير" بالصمت ، ولم يكن هناك مايقال .

لقد تركت والدتها و"أدي ماركام" "بل وود" ، قبل سبعة عشر عاما ، لكي تبني ذاتها . كانت مدركة ، ولكن لماذا تشعر بانها مذنبة هكذا فجاة؟

"أدي" كانت تعرف دائما كيف تصل إليها ، لأن "إستير" كانت تكتب

لها باستمرار في عيد الميلاد وفي عيد ميلادها بالرغم من كل شيء كان لزاما عليها أن تقربانها كانت من الممكن أن تبذل مجهودا كي تظل على اتصال أكثر ، لأن "أدي" كانت بالنسبة لها اما حقيقية .

ناولت العجوز "إستير" شرابها ثم استانفت الحديث :

- كان هذا لطيفا معها هي أيضا . كان يستمع دائما إلى هذيانها

تساءلت "إستير برايت" :

- عمن تتحدثين ؟

قالت "أدي" :

- الطبيب ؟

هزت رأسها موافقة "أدي" .

ثم استطردت تعليقها وقالت أدي :

- لقد وصل هنا منذ خمس سنوات تقريبا ، قبل أن تموت والدتك بالضبط . أعتقد أنه قد واجه بعض المشاكل عند قدومه ، ولكن الآن وبعد معرفتنا له فإننا مسرورون لوجوده معنا .

- إنه طبيب ذو أهمية في "واشنطن" . لقد حضر إلى هنا لتادية خدمة - مؤقتة - إلى الطبيب "إيفانز" الذي هو صديق لخاله ، ثم مكث هنا ، على كل حال ، لقد كان لطيفا بالفعل مع والدتك . حتى إنه ذهب إلى جنازتها .

تساءلت "إستير" :

- ألهذا هو بهذه القسوة معي ؟

قالت "أدي" :

- لأنه هو الغريب ، وقد ذهب إلى جنازتها وأنا لم أفعل ؟

- لا أعتقد ذلك . لا أفهم لماذا يتعامل معك هكذا ؟ ولكن هذا ليس ذا أهمية . أنت لن تمكثي هنا للأبد . بالمناسبة ، لماذا عدت إلى هنا يا "إستير" ؟

- لا أعلم . ربما أصابها الهذيان . إني أتذكر ببساطة أني قد فكرت بان الحل لكل مشكلاتي موجود هنا .

- كل الإجابات التي تطمحين لها ، قد أعطيتها لك عندما كنت فتاة صغيرة . لم يتغير شيء .

www.elromancia.com

تناولت "إستير" العقاقير التي اعطتها لها "آدي" ، وراتها تخرج. عند المدخل ، استدارت "آدي" نحوها وقالت :

- إني آسفة لفقدك زوجك وطفلك .

لكل الأحزان التي مررت بها، إنه بالفعل لأسوأ شيء واتمنى أن يكون الله قد عوضك .

اغمضت "إستير" عينيها وتركت نفسها للذكريات .

الفصل الثاني

عبر الباب الكبير المفتوح ، كان "دان چاكوبي" يرقب "إستير" وهي نائمة .

- رباه ، كم كانت جميلة ! لم يكن يحلم ابدا أن يكون قريبا جدا هكذا من الشابة . إن هذا يكاد يتحول إلى هاجس .

- كل مرة يدخل فيها إلى الحجرة التي تكون موجودة بها ، يشعر بنفسه مهتزا مثل المراهق .

عندما هم بإنقاذها ، كان خائفا أن تكون تحتضر وكان خوفه في صورة قسوة لا إرادية وهو يحاول إفاقتها ، والآن ، هو مستمر في ذلك لإخفاء مشاعره نحوها . كان لـ"إستير" عشاق كثيرون ! وهو لا يحتمل أن تخمن ما تمثله بالنسبة له .

الجميع يعرفون "إستير برايت" . الجميع يعتنقون كلامها ، ويرقصون على موسيقاها ، كتاباتها تهز مشاعر الجماهير . حتى وصول "دان چاكوبي" لـ"بل وود" "إستير" لم تكن تمثل له سوى زوجة لـ"سيث توبان" كاتب وملحن ذي موهبة "سيث" ، بصوته العذب ، وهيئته المميزة والملائمة ، كانت تجذب جمهورا متنوعا ، دون تفرقة فى العرق أو العمر

www.elromancia.com

أو الجنس .

- لا فضائح ، حياة خاصة هادئة ، محبا لزوجته التي يدين لها بنجاحه . في عيون الجميع "إستير" و"سيث" كانا يشكلان زوجين نموذجيين . في العشر السنوات الماضية كانا يمثلان قمة العروض في "الولايات المتحدة" .

في وقت موت "سيث" وولده منذ عشرة أشهر في حادث سيارة، هجم الصحفيون على "إستير" بسيل من الأسئلة الوقحة ، خلال بعض الوقت كانت صور السيدة الشابة في يوم الجنازة هي الوحيدة .

- ثم ، لا شيء . اختفت .

وحده طبيب "بل وود" كان يعلم بمكان اختفائها .

- "إستير" كانت نائمة في حجرة الزائرين ، في منزله ، تصارع الموت .

- إنه هنا ، في هذه البلدة الصغيرة ذات المناجم . يعلم "دان" حقيقة "إستير" والوقوع في حبها .

هنا قابل والدة "إستير" ، سيدة صغيرة الحجم طيبة هزيلة ومريضة ، لا تتمتع بجميع قواها العقلية .

"لورا" كانت قد حدثته كثيرا عن ابنتها . استطاع "دان" عن طريقها التقاط كمية من المعلومات عن الشابة ولكن أيضا عن "آدي ماركام" وكذا مواطنون آخرون من "بل وود" . لقد قام بشراء منزل "لورا برايت" ، ولكن الفكرة المستحوذة عليها لم تكن كافية لأن يجعل من المنزل متحفا لـ"لورابرايت" ، وفقا لذوقه ، كان يفتقر للكثير من الراحة والأناقة . على كل حال ، هذا لحسن الحظ ، لأنه لو لم يكن قام بتجديده ، كان من الممكن ألا يكتشف شيئا .

جاء صوت "إستير" فجأة ليقطع عليه حلم اليقظة .

قالت "إستير" :

- معذرة ، يا دكتور ، لقد ظننتك نائما .

- هل هناك ما يسوء ؟

- لا .. كل شيء يسير على ما يرام .

اقترب "دان" من السرير ليقيس نبض المريضة عبر الضوء الخفيف ، حاولت قراءة تعبير وجهه يا له من شخص غريب ! بهذه الأيدي الفائقة

النعومة ، هذه النظرة الثاقبة ، كيف يتسنى له أن يكون بهذه الصرامة ؟ ألا يحبذ صحبتي ؟

قال وهو يترك معصم "إستير" :

- هل أستطيع أن أحضر لك شيئا ؟ شيئا تشربينه ؟

- لماذا لا تقوم بالبحث عن ممرضة جديدة لي ؟

- ألا تعجبك "آدي" ؟

- إنها تميل إليك . "آدي" أنبتني لأني كنت فظة معك هذا الصباح . قالت لي إني أدين لك بالكثير .

- "آدي" على حق .

كانت نبرة صوت "دان" لا زالت متحفظة ، حتى وإن لم يكن يفكر سوى في البوح لها كم هو معجب بها .

- أعدك بأني سوف أكون أكثر لطفا في المستقبل . هي أيضا أعلمتني بلطفك بالنسبة لأمي . كنت أود أن أشكرك بهذا الخصوص .

- والدتك كانت رقيقة جدا ، إني آسف لاستحالة مساعدتها بشكل أكبر .

تردد "دان" . اللحظة كانت ملائمة لنقل رسالة "لورا" .

- كانت فخورا بك .

أدركت "إستير" في وقت متأخر الحب الذي كانت تحمله لها أمها . حاولت مساعدتها ماديا ، ولكن "لورا" كانت دائما ترفض .

عند تسلمهما جائزة "أوسكار" هي و"سيث" قاما بإحضارها إلى "كاليفورنيا" ولكن السيدة المسكينة لم يكن لها سوى رغبة واحدة ، ألا وهي الرجوع بأقصى سرعة لـ"بل وود" . "إستير" لم تذهب إلى جنازة أمها ، لأن رؤيتها لمسقط رأسها مرة أخرى لم يكن هناك ما يضاهيه ألما .

- استدعيني إن احتجت شيئا .

فاجأت "إستير" النظرة العميقة والمثقلة بالوحدة لـ"دان" المثبتة عليها قبل أن يستدير بعنف للخروج .

- دكتور "چاكوبي" : شكرا .

أمضت "إستير" الأسبوع التالي في السرير راقدة ، تأكل لتستعيد قواها عندما تسنح الفرصة لرؤية ابتسامة فوق شفاه الطبيب

www.elromancia.com

كانت تترقب زياراته النادرة لمشاهدة اليدين الجميلتين لـ"دان جاكوبي"، دراسة ملامح وجهه وشعره المفتول حول أذنيه، المحيط بوجهه ذي الشخصية القوية. حاجبان مستقيمان فوق عينيه غاية في الجدية وأهداب كثيفة. عندما يحادثها كانت تلاحظ فكيه المتساويين، أسنانه البيضاء كانت تعطيها الرغبة في رؤيته يبتسم أكثر. تردد الطبيب في كل مرة يذهب فيها لفحصها، لم يكن يفارقه اشمئزازه من لمسها.

لقد كان ذلك شاغلا للبال ومؤثرا في ذات الوقت. كان للشابة تجارب قليلة ولكن هذا السلوك كان يفقدها الصواب.

بالرغم من الزواج الذي كان مبنيا على الاحترام المتبادل والتفاهم الجيد، كانت في بعض الأحيان تشعر بفراغ.

غير قادرة على مقاومة التجربة التي بدت لها، أخذت "إستير" تحاول بشتى السبل أن تجعله يهواها. عندما يساعدها على النهوض، كانت تستند إليه أكثر من اللازم. كان قلبها يخفق بسرعة أكبر.

- هل لاحظ ذلك؟ كانت تسجل ردود أفعاله، وهي سعيدة لاستطاعتها ارباكه، ولكن وهي تأخذ على نفسها هذا السلوك. إنها طريقة غريبة للشكر.

كانت "إستير" قد اعتادت أن تكون لافتة للنظر، إذا كان مهذبا معها، فإن افتقادها لإعجابه بشخصها كان يزعجها.

- رئتاك تتحسنان. اليوم سوف تستطيعين الجلوس على مقعد غدا أو بعد غد، تستطيعين المشي ومشاهدة التليفزيون. باختصار، ممارسة حياة طبيعية شيئا فشيئا.

- رائع! هل أستطيع النهوض من الآن؟

كان "دان" قد فكر أولا في انتظار "آدي"، ولكنها مسنة وإنه لسرور كبير أن يساعد "إستير"...

ولكنه ارتبك عند وضع الأغطية جانبا.

غير أنه تماسك لمساعدتها للجلوس على طرف الفراش.

- أشعر بأنه سوف يغشى عليّ.

- لا، سوف تعتادين. هذا أمر طبيعي جدا بملازمتك للفراش مدة

طويلة.

في الحقيقة، إن الإحساس بالدوار قد تلاشى، وبمساعدة "دان" استطاعت "إستير" أن تأخذ بعض الخطوات للأمام قبل أن تشعر بساقيها تنزلقان تحتها. قام "دان" بأخذها بين ذراعيه. تلاقت نظرتهما عدة ثوان. أكثر من أي وقت، شعر بالحاجة إلى حمايتها فجأة، شعرت "إستير" بالخوف. أخذت عينا "دان" في البحث عن قراءة أفكارها العميقة. الحركات الرقيقة للرجل تجاهها أيقظت فيها أحاسيس منسية منذ وقت طويل، كانت تشعر بأنها لم تمر بهذه الأحاسيس من قبل إلا معه. الوفاق الذي بينهما كما لو كان قد رسخ منذ دهر، إنه يتحتم الرجوع للواقع.

قال الطبيب:

- لم يعد لديك سوى الجلد والعظام.

- لابد وأن يكون منظري مرعبا بشعري المشبك.

عادت "إستير" إلى الحياة وتحسن شكلها. تفرس في وجهها بحنان وجعلها تستقر على المقعد برفق.

- لا، أبدا. بعد توصيلك إلى هنا، مررت على الفندق لآخذ أمتعتك. هل تريدين فرشاة لشعرك؟

تذكر الطبيب أنه قد قام بتعبئتها وهو يتساءل إذا كانت هدية من "سيث". مررت "إستير" يدها في شعرها الطويل الذي كانت "آدي" قد صففته الليلة الماضية حتى يلمع.

- الفرشاة على المنضدة. "آدي" كانت قد اهدتها لي بمناسبة بلوغي السادسة عشرة.

مد لها "دان" الفرشاة وحاولت أن تقوم بتمشيط شعرها. كان من الواضح أنها لاتزال ضعيفة للغاية.

عرض عليها أن يقوم عنها بذلك فقبلت. بينما كان يقوم بتمشيطها وهو في حالة من الاستغراق، كانت هي صامتة ومستمتعة كلية باللحظة.

فجأة سألها كاسرا حاجز الصمت:

- ماذا فعلت بعد الحادث؟

www.elromancia.com

مكثت "إستير" دهشة وصوتها محبوس لحظة ثم أجابته :

- لقد ذهبت إلى أوروبا . هناك ، يعرف الناس "سيث" أكثر مني، وكان بإمكاني التنزه في الشارع دون أن يستوقفني أحد لطرح الأسئلة عليّ في طريق العودة ، ذهبت إلى انجلترا .

كنا نمتلك مزرعة صغيرة في "فيرمونت" . مخبأ جيد . السكان فيها مهذبون ومتحفظون .

أو شعرت "إستير" بالارتياح للتحدث معه لأنه لم يطرح عليها أسئلة شخصية من قبل أم ، لأنه يبدو عليه الاهتمام فعلا ؟

انفجرت الشابة في ضحكة رقيقة أبهجت "دان" .

- عندما طرحت "أدي" عليّ هذا السؤال ادعيت جنونا عابرا . في الحقيقة ، أنا لا أعلم لماذا حضرت ، أتذكر أني كنت في نيويورك عندما أصبت بالبرد . ثم تذكرت بعدئذ أنه يجب عليّ البحث عن شيء مهم وأني قد رأيته للمرة الأخيرة هنا . شيء غريب ، أليس كذلك ؟

- إنك تقريبا لم تحضري معك امتعة . إنني لم أجد حتى معطفا. ضحكت من جديد .

- كان عليّ أولا أن أصاب بالحمى . أتذكر أن كنزتي كانت تشعرني بالحرارة فقررت أن من غير المجدي أن أثقل نفسي بمعطف .

- إنك بحاجة لمن يراقبك .

- هل تتطوع ؟

- لا ، إني لأفضل أن تنتبهي لنفسك .

قطبت "إستير" حاجبيها . كان يبدو وكأنه يتهمها وكانت لا تعرف السبب .

- هل أنت غاضب لأني أصبت هكذا بالبرد ؟

- لا ، ولكنني ثائر لملاحظتي أنك لا تعتنين بنفسك ، لدرجة أصابتك بالمرض وأشرفت على الموت .

- هل تتهمني بأني أصبت بالمرض عن قصد ؟

كانت "إستير" تختنق غيظا .

- فيما كان علي أن أفكر ، من وجهة نظرك ؟

- لست سوى امرأة ، أخطئ وأصيب ، ولقد ارتكبت أخطاء كثيرة

بالفعل . من الجائز أن تفكر بأن هذا كان عذرا لملاقاتك. راقبها "دان" لحظة تحت تأثير المفاجأة قبل أن يبتسم وتبرق عيناه.

- إنها لجذابة ! قالت "إستير" :

- ماذا .. إذن ؟ .

- ابتسامتك . واحدة من أجمل الابتسامات التي رأيتها ، وأتمنى رؤيتها كثيرا .

- هذا يتوقف على تحسنك . أجد صعوبة في الابتسام عندما لا تسير الأمور كما أريد . أمتعبة أنت أم تودين البقاء جالسة فترة أطول ؟

عاد "دان" ليمارس دوره كطبيب دون التوقف عن الابتسام .

قالت "إستير" :

- أود لو تراني "أدي" . لقد اتهمتني أمس بأني استقررت في فراشي ثم أني أستطيع النوم جيدا هنا أيضا .

- اتفقنا . هناك أوراق يجب أن أملأها . إذا حدث وعدلت عن رأيك ، فلا تترددي في طلبي . ساكون في الردهة . بعد ما تركها "دان" - أغمضت "إستير" عينيها . لن تفتحهما إلا لتوجيههما نحو الأرض ، للمكان الذي تظنه المخبأ . هل يا ترى المفتاح الذي وضعته تحت السجادة تم سحبه؟ ولكن هل يمكن أن يكون السر قد افتضح ؟

التقت نظرتها بعيون خضراء لقط جالس على عتبة الغرفة ، وقد كان واضعا أمامه فارا صغيرا ميتا كما لو كان يريد الترحيب بها بهذه الغنيمة .

- عضت "إستير" على شفتيها من الامتعاض .

- إنك جميل أيها القط ، ولكن أخلاقك فظة . بدا على القط السرور لسماعها فاحضر فريسته عند أقدام الشابة. - هذا لطيف للغاية .

ربتت "إستير" على ركبتيها لتدعوه ليقبل إليها وهو ما فعله وراح مسرعا كالفراشة التي جذبها عبق الأزاهير.

وبسلاسة . استقر القط في حضن الشابة ليجبرها على مداعبته.

- هل ناديتني ؟ أوه ! إنك تتحدثين إلى القط . إن اسمه "جاسبر" . عادة يبقى خارجا معظم الوقت .

- والآن ، اليوم ، يزور "جاسبر" المرضى ويحمل لهم هدايا جذابة.

www.elromancia.com

أشارت "إستير" بإصبعها إلى القارض الصغير متجنبة النظر إليه . تقطب وجه "دان" . واختفى ليبحث عن مجرفة ومكنسة لرفع الحيوان بينما الشابة التي مازالت عيونها مغمضة تداعب "چاسبر" .

لاحظ "دان" أنها تتعب سريعا . صحيح أن هيئتها أفضل وتسعل بصورة أقل ، ولكن فترة النقاهة سوف تكون طويلة .

مكث "دان" ينظر إليها حتى تنام ويدها فوق القط . ثم قرر بينه وبين نفسه العودة إلى عمله عندما استوقفه الصوت الرقيق لـ"إستير" وقالت:

- لماذا تفعل كل هذا من أجلي ؟

قال "دان" :

- ماذا تقصدين ؟

هل كان من البلاهة من جانبه أن يمكث كل هذا الوقت في النظر إليها كان على "دان" أن يفهم ما يتضمنه السؤال .

- كان بإمكانك اصطحابي إلى "فيرمونت" بدلا من هنا . أنا لم أعد أنتمي إلى شركة "بل وود" . لم تكن مجبرا على معالجتي .

- أعلم ، ولكن وددت عمل ذلك .

- لماذا ؟

- كنت ومازلت مريضة . أنا طبيب . كنت أريد علاجك - هكذا ببساطة.

فتحت "إستير" عينيها من جديد محاولة قراءة الحقيقة على وجهه . كانت تشعر أن ثمة ما هو أكثر من مجرد اهتمام بدافع المهنة بداخله . كيف السبيل إلى جعله يعترف ؟

- يتحتم علي الاتصال بمعهدي لأعلمه بمكاني .

- إذا كان هذا يستطيع الانتظار للغد ، فإن هناك تليفونا بمكتبي وبالمطبخ . أفضل ألا تبذلي مجهودا أكثر اليوم . أستطيع القيام بالمخابرة عنك لو أن الأمر عاجل .

- يمكنه الانتظار .

عاد "دان" إلى مكتبه وهو يشعر بأنه جرحها بغير قصد . كيف يبدأ ؟ هل يجب عليه أن يرتمي عند قدميها مصرحا لها بحبه ، ليسمعها تضحك منه ؟ يا للحيرة !

الفصل الثالث

كانت "إستير" طفلة معتادة دائما على سماع الصوت الثابت القادم من المنجم والتي لم تعد تسمعه . اليوم عادت لتتعرف على هذه الجلبة . الانطباعات التي كانت تتلاعب بها كانت متشابكة . كل خطوة كانت تخطوها منذ الحادث كان يشوبها الخجل والحذر . كانت الشابة تشعر طوال الوقت بالخوف - وهو إحساس لم تكن لتفخر به . كيف استطاعت الظن بأن غرفتها هي الوحيدة التي تم استبدالها ؟ دهشت لاكتشافها بأن منزل طفولتها الحزين والمعتم قد اختفى .

كل شيء قد تم عمله من جديد ولكن بإحساس أكثر حرارة وبألوان الأرض - النوافذ بدت أكثر اتساعا والستائر المفتوحة تركت للشمس المجال للدخول برحابة . لم تستطع العثور حتى على الروائح القديمة .

لقد قام "دان" بعمل جيد . أصبح المنزل حسن الاستقبال . شعرت "إستير" فجاة بأنها قد اقتلعت من جذورها وأنها أصبحت هشة .

لم تكن تشعر أن هذا هو مكانها حيث أمضت نصف وجودها . إن هذا الأمر ليشعرها بالخجل بعض الشيء . تساءلت الشابة عن السبب الأساسي لعودتهما لـ"بل وود" . تغيرت البلدة بدورها . هل باستطاعتها

www.elromancia.com

إيجاد الأجوبة التي جاءت من أجل البحث عنها ؟

إن "بل وود" تنتمي إلى واحدة من آخر شركات استثمار مناجم الفحم في البلدة وفي السابق كانت مئات العائلات تكسب إعاشتها من هذه المناجم . مرور الأعوام ، انخفاض الإنتاج ، ظهور التكنولوجيا وهبوط سوق الفحم كل هذه العوامل أدت إلى تضاؤل الإيرادات في ظل العزلة في شمال تلال "فيرجين" الغربية ، أخذت البلدة والمناجم في الاختناق .

الذين ظلوا عمال مناجم منذ أجيال ، وقد حسنت نقابة عمال المناجم أحوال العمل والتزمت بتعويضات عن إصابات العمل ، ولكن ظلت التدخلات مستمرة وظلت الحالة كما هي . بالنظر بعين راشدة ، استطاعت "إستير" الفهم بأن "بل وود" مثلها مثل معظم البلدان الصغيرة يجب أن تظل متشبثة بتقاليدها . السكان يعيشون في عزلة ، يعرفون حياة وعائلة كل واحد منهم ، لا ينسون شيئا . أي غريب كان يمثل تغييرا في النظام بالنسبة لهم ويثير القيل والقال ، ماذا يمكن أن يكون قد روي عندما حضر الطبيب "دان چاكوبي" وهو الوسيم الأعزب ؟ هو الآخر كان يبدو أن له ماضيا غامضا لأن ظاهره كان أكثر من مجرد طبيب عادي . و"إستير" مثلها مثل غيرها تتساءل : ما الذي يبقيه في هذه البلدة؟ كيف يفكرون فيها ؟ النادر من أطفال "بل وود" الذين يرحلون للبحث عن وجود أكثر سهولة لا ينسون خاصة إذا نجحوا . هل استطاعت الشهرة أن ترفعها إلى درجة تنسى عندها بدايتها الصعبة ؟

قالت في قرارة نفسها : ما الأهمية ؟

تحاول "إستير" التركيز في قطعة الشطرنج التي تتنازع عليها مع "دان" .

- مات الملك !

رفع "دان" رأسه منتصرا ولاحظ التعاسة على الشابة .

قال "دان" :

- هل أنت غاضبة ؟

- لأن لك حظا قويا .

قالت "إستير" :

- كنت أعتقد أن الأطباء عندهم شيء من العطف .

- الطبيب .

- إنك ، يا حلوتي ، خاسرة سيئة .

أطرقت "إستير" في حديثه . إنها المرة الأولى التي يتحدث إليها بطريقة مختلفة غير "إستير" ومدام "برايت" . احمرت خجلا على الرغم من أنها معتادة حوارها معه .

يا للحماقة في التأثر بإطراء عادي كهذا ! عنفت نفسها . لاحظ "دان" ما اعتراها .

- ماذا يحدث هذه المرة ؟

- إنه الإطراء الأجمل الذي وجهته إليّ منذ ثلاثة أسابيع .

- أيها ؟ إنك حلوة ؟

أطرقت "إستير" بالقبول .

- لقد أخبرتك بالأمس بأن ضغطك جيد وبأنك سوف تشفين عاجلا .

كانت عنده الرغبة في مضايقتها . كان لها السحر الذي كان يتمناه ، طبيعي وعفوي كما لو لم تكن أمضت نصف حياتها تحت أضواء المسرح . بالتأكيد لم تكن أبدا ذات السادسة عشرة ولكنها احتفظت بالكثير من مميزات "إستير" الصغيرة : الظرف ، الرغبة في مواصلة الحياة وطيبة القلب .

بما أن الأسابيع قد مرت واستعادت "إستير" قواها ، فإنها قد استطاعت أن تزيل التحفظ عن "دان" إنه الآن يجد صعوبة أكثر فأكثر في إخفاء مشاعره ويستجيب لمحاولاتها التقرب . إن أغلى أمل لديه هو أن يحطم الحواجز الأخيرة ويتمكن من البوح لها . إلا أن عليه الانتظار أكثر . "إستير" كانت في محاولة للبحث عن ذاتها ، محاولة تعقيد وجودها سوف تكون غير مشروعة بل سيئة العاقبة - ياله من رجل ! يا لها من سلطة ! كلي هذا ! ابلعي ذاك إنك شديدة النحافة ، شديدة الشحوب ، قلدته "إستير" .

- كثيرا ما أفكر في ذلك ، يجب أن نجد لك معطفا كي تتمكني من البدء في نزهاتك ، قال متجاهلا التهكم ومبتهجا بنشاطها :

- لماذا لا نقوم بذلك اليوم .

www.elromancia.com

- حسنا . سوف أنتهز الفرصة للذهاب للمستوصف لعمل أشعة لرئتيك .

- واحدة أخرى ! كنت أعتقد أني أتحسن .

- نعم ، ولكن من الأفضل التأكد .

- إذن عليّ الرحيل .

ثم أجاب . بالرفض بصورة قاطعة أكثر من اللازم .

- لا . لن تكوني قد شفيت بعد . إن هذه الأسابيع القليلة لم تكن كافية بالقدر الذي يمكنك من الرحيل عن هنا إلا بعد عدة أسابيع أخرى وبصورة مؤكدة

قالت الشابة

- يمكنني أن أقيم في الفندق أو عند "أدي"

كانت تتكلم كما لو كانت لا تفهم إلى أي أحد كانت تتحدث لقد كان لكل شيء يخصها وقع في قلبه .

تساءل "دان" :

- لماذا تقولين ذلك ؟

نظرت إليه "إستير" . كان يتفاعل بطريقة واضحة .

ضحكت ضحكة خافتة .

- تذكر أننا في "بل وود" العيش مع امرأة خارج الروابط المقدسة للزواج ! هذا لا يجعلك تفكر في شيء ! نعلم جيدا نحن الاثنين أن أسبابنا طيبة بحتة ولكن صدقني الناس يثرثرون من قبل .

- أنا لا أعلم شيئا عن هذا .

أجاب بخبث : إنهم سريعو التأثر هنا . إنهم بهذا سوف يجدون موضوعا مثيرا للكلام . يمكننا معا أن نجعلهم يستعملون هذا العلاج الطبي الفعال . ما رأيك ؟

ابتسمت "إستير" بدورها ، ولكنها أومأت برأسها بالرفض .

- لا أستطيع . لقد مرضت نفسي بالفعل طويلا . لقد كنت ملاكا معي صدقني إني مقدرة كل ذلك ولكن ...

بحركة بيده أوقفها .

- أرجوك يا "إستير" لا ترحلي . لقد جئت إلى هنا لهدف محدد أريد

مساعدتك . لو أن بغيتك الوحدة سأذهب لأستقر في المستوصف . إني أفكر جدا بأن عليك البقاء في منزلك إني أتقدم إليك بصداقتي وسوف أكون لك الأذن الصاغية والكتف التي تتكئين عليها حين تودين البكاء .

إن العرض المقدم من قبل الطبيب الشاب لم يدهش "إستير" . لقد سمعت بذلك من "آدي" التي تتغنى بطيبته ولطفه مع أهالي "بل وود" .

غير المتوقع في هذا هو ذاك الصوت الشغوف ، الرغبة في الإقناع ، الصدق الكامل في عرضه .

قالت : وإذا طلبت منك أن تقبلني . هل تفعل ؟

نظر إليها "دان" طويلا ومرفقاه مثبتان في المقعد وذقنه بين يديه وأجاب بالقبول . لم يعد عند "إستير" أية مقاومة .

- تمتمت وقلبها يخفق : دكتور "چاكوبي" ، من فضلك قبلني .

- كان عند الطبيب الشاب الانطباع بأنه يحلم وأنه لو تحرك فإن كل شيء سوف يختفي تماما . بسط يده إليها ببطء لتتقابل مع يدها - تشابكت أصابعهما ثم جذبها إليه . كانت نظرة "دان" الثابتة تبعث على الارتياح . كانت تنم عن شخصية قوية كريمة ذات بديهة .

في هذه الأثناء كانت لا تفكر في غير تقبيله . إذن لماذا هذا الخوف الذي يعتريها ؟

- هل أنت واثقة بما تطلبينه يا "إستير" ؟ هو يعرف ماذا يريد ولكنه ترك للسيدة الشابة فرصة لكي تعدل عن رأيها .

- لا أعرف ما سوف أريد غدا ولكن هذا هو ما أريده الآن .

أخذت تداعب الشعر الأسود الذي طالما أعجبت به عندما أمسك بوجهها بيديه الحارتين الناعمتين . ارتعشت أحدثت الملامسة نوعا من الارتباك بينهما . حاول "دان" قراءة تعبير "إستير" . العينان الخضراوان كانتا تكشفان عما هو أكثر من مجرد فضول مما سره .

النفور من أن يستمر في العيش في حلمه أخذ في التلاشي .

رؤيتها وهي متجاوبة مع مشاعره جعلته أكثرا إقداما فأخذ يهدهدها .

استسلمت الشابة للشعور بالرضا من رقة اللمسات حينما افترقا ، وضعت رأسها على كتفه في سعادة .

www.elromancia.com

وتساءلت :

- هل الوصفة قابلة للتكرار ؟ .

- حتما ، في اي وقت ومكان تشائين .

قال الدكتور :

مكثا لحظة دون حراك ، ثم فجاة - خرقت "إستير" الصمت بضحكتها .

تساءل الطبيب :

- ما الذي يضحك هكذا ؟

- إني اتساءل ماذا يمكن لشخص مثلك أن يفعله هنا بالضبط؟ - لماذا؟ الا يناسبني هنا ؟

- لا . ليس تماما . عندي أنا عذر غير واضح إن أسبابك تبقى لغزا .

- إطلاقا . لقد اكتفيت من البلدة الكبيرة .

- ولكن لماذا جئت لـ"بل وود" ؟

- كانت هناك حاجة لي .

- بهذه البساطة ؟ أو ليس في الأمر لغز ؟

- ولا واحد ، أؤكد لك .

كان "دان" يتحاشى نظرتها . الحقيقة لم تكن لغزا ولكن الكلام فيها لم يكن بهذه البساطة . جو من الصداقة بعث الحياة أثناء الغداء . لم تترك "أدي" موضوعا إلا وتكلمت فيه وقالت رأيها .

- لقد حملت صاحبة السمو على النميمة حولك هذا الصباح. قد مر وقت طويل لم تكن فيه تنفث خبثها - من وجهة نظرها فإنك تعطين مثالا سيئا لابنها "أيدي" ولشباب "بل ودز" .

نبرة صوت "أدي" لم تدع مجالا للشك في رأس "إستير" عن أي شخص تتحدث؟

- أمل الا تكوني قد شططت بعيدا . ليست عندي الشجاعة للدخول في مناقرة مع "جيول بل دون" .

ضحكت السيدة العجوز وغمزت إلى "دان" .

- لن يكون عليك ابدا أن تمسحي أنفها .

- "أدي" !

شعرت "إستير" بالتوتر للتفكير في كل ما يتضمنه هذا الشجار نظرت إلى "دان" للتعرف على رأيه فوجدته يحاول أن يكتم ضحكته.

- لا تشجعها ، "دان" ! ليس لديك فكرة كيف تكون هذه الأفعى "جيول" .

- أعلم ، لقد حكت لي بالفعل كم يعشقك آل "بل وود" منذ سنوات .

- تعرف كل ذلك وتشجعهم ؟

- هم لا يفعلون شيئا سوى أنهم يستعينون بي ، أنا لست عبدا لهم .

قاطعتهم "أدي" : لو تتركوني أكمل . لقد أديت لها مشهدا مسرحيا . لقد قلت لها إن صبية هذه البلدة ليسوا حمقى أكثر من الصبية الآخرين عندهم التليفزيون ويرون ما يفعله الناس . وقد أشرت لها أن صغيرها "أيدي" بقدرته الجمع والطرح . إن عمره ستة عشر عاما وهي قد تزوجت بنفس هذا العمر .الجميع يعرفون لماذا أصبحت واحدة من آل "بل دون" .

تنهدت "إستير" :

- باختصار لقد عرضت عليها إيجاد مدرسة أخرى - بهذا الشكل لن يكون عليها أن تقلق مما سيظنه فيكما . باي حال من الأحوال هي لا تستحق هذا الولد - قاطعته "أدي" .

- ماذا يبدو عليه ؟

- إنه منطو على نفسه جدا ولكن إذا استطعنا كسر القشرة يصبح من المؤكد أنه من النوع الجيد .

قالت "إستير" بعد لحظة تأمل :

- أدي" ، إنني كبيرة الآن بالقدر الذي يجعلني أتولى أموري وأدافع عن نفسي .

ثم داعبت ذراع العجوز وأضافت :

- إن أمرك يهمني ، لا أريد أن يجرحك آل "بل دون" بسببي لأنهم لا يستطيعون الوصول إليّ أبدا .

هزت "أدي" رأسها في صمت - ثم استدارت الشابة نحو "دان" الذي كان يراقبهما .

- هذا ساري بالنسبة لك أنت أيضا .

"دان" كان قد اعتاد أن يعود ليتناول طعام الغداء بعد الاستشارة الصباحية . كانا يتناقشان يلعبان شوطا سريعا في الشطرنج ، في فترة بعد الظهر ، كان يزور المرضى . في هذا اليوم كباقي الأيام ، ذهب "دان" لعيادة مرضاه بينما كانت "إستير" ترتدي ملابسها وتعد قائمة بالأشياء التي تحتاجها . عند عودة الطبيب ، كانت مستعدة لمواجهة "بل وود" الضاحية الممتدة على جانب واحد كانت تقع في واد مزدحم . كل التجار كانوا في الشارع الرئيسي . من أجل التخفيف على "إستير"

- بدت لها البلدة متغيرة بعض الشيء ولكن ظهر شيء من الفقر والإهمال أكثر مما كان في ذاكرتها .

أوقف "دان" سيارته "البروتكو" أمام السوبر ماركت ولم تستطع أن تتمالك نفسها من الضحك .

- غير معقول . انظر ! لم يقوموا بتغييرلوحة الواجهة منذ سبعة عشر عاما .

- تلك التي في الركن إن لها شهرين . خرجت "إستير" من السيارة وهي متلهفة للوجود بهذا المكان وصعدت درجات السلم الموصلة إلى المتجر .

عند وصولها للرواق استدارت لتحتضن البلدة بنظرها . كل هذا ملك لآل "بل وود" الذين تحمل لهم في قلبها حقدا دفينا . "أدجار بل دون" الكبير وهو رجل أعمال ناجح ، كان يدير المناجم بطريقة رحيمة للغاية وكان ينتفع بإنتاج هائل كان وريث والده . بالنسبة لـ"إستير" لم يكن سوى جبان وولده المالك الحالي ليس بأفضل منه .

في قرارة نفسها ، هي آسفة من أجل "چيول" التي حسدتها من قبل ، المسكينة تم زواجها في ظروف فاضحة في الصيف الذي رحلت فيه . الحياة مع "تومي بل دون" كانت ولا شك بمثابة جهنم .

- مستعدة ؟

وضع "دان" يده فوق ذراعها لإشعارها بالراحة . وافقت "إستير" توقفت عند رؤيتها لدراجة بخارية قادمة بسرعة فائقة . توقف الرجل المرتدي السواد أمامهما . رفع خوذته وهو ينظر للشابة . كل ما فيه كان يذكرها بوالده : الشعر الأسود القاسي ، هيئة ديك صغير في قرية ،

المشية والقامة .

- والدك كان عنده دراجة بخارية مشابهة . قالت "إستير" بينما كانت تتكلم كانت تامل أن تزيح أشباح الماضي :

- أعلم ، أنها مازالت في الجراج الخاص بنا .

سال المراهق : أنت "إستير برايت" ؟

- أليس كذلك ؟

أجابته وهي تنتظر ما يتبع :

- نعم

- إني أعشق أغنياتك ، أستمع إليها في المذياع أو في المدرسة لأن أسطواناتك ممنوعة في البيت .

وقفت السيدة الشابة في انتظار ما قد يتوالى من ملاحظات . وفجاة ، عاد إلى أخلاقه الحسنة .

وقال :

- أنا "إيدي بل دون" .

- لقد خمنت ذلك .

- هل حدثتك عني والدتك قبل موتها ؟

- لا ، ولكن ببساطة أعطيت علما بوجودك . لماذا تسالني عن هذا ؟

- هل هذا يهمك ؟

- لا .. أبدا ، يجب أن أذهب الآن . سوف نتقابل مرة أخرى .

دخل "دان" و"إستير" إلى المتجر لشراء حاجياتهما .

استوقفها أشخاص كثيرون ممن عرفتهم من قبل للسؤال عن آخر أخبارها .

وبعضهم هنأها على موسيقاها . ثم ظهرت على السيدة الشابة السعادة من استقبالهم وأجابت بأدب متحفظ على سكان "بل ود" .

بينما كانت "إستير" تستمع لعامل مناجم قديم بدا وكأنه لن ينتهي أبدا من انتزاع الذكريات من الماضي - حمل "دان" مشترياتهما إلى السيارة . رأى "تومي بل دون" يوقف سيارته "الكونتننتال" أمامه . تساءل "دان" :

- هل يحث السيدة الشابة على الذهاب أم يتركها لتتصرف ؟ قرر

أخيرا البقاء على مرمى الصوت لمساعدتها إذا اقتضت الحالة. -

- "إستير" ، توجه "تومي" إليها كما لو كان امبراطورا . كيف لا يمكن التعرف على هذا الصوت ؟ استدارت نحوه ، تاملت مكانه ، عثرت على ظله ، الشعر أسود وقاس ، والعيون زرقاء كالثلج .

بعد تفكير ، بدات الحديث مع رجل المناجم .

- لقد قال لي والدي : إنك خرجت أخيرا . كنت قد بدأت أعتقد في أن هذا الطبيب يبقيك سجينة .

وكان يتكلم بنبرة متعالية ومحتقرة .

- كل مرة كنت أحاول فيها رؤيتك ، كان يحاول متذرعا باعذار مختلفة .

ردت "إستير" :

- سوف أشكره على ذلك لقد أمضى زمنا طويلا .

"تومي" : ليس كثيرا !

- لست مرغوبا في بقائك هنا يا "إستير" . عودي إلى "كاليفورنيا" . أنت لم تعودي تنتمين إلى هنا .

شبك "تو مي بل دون" ذراعيه بطريقة متسلطة كاشفا بذلك عن أثر عضة تركت علامة في قبضة يده ، كانت لاتكاد ترى ، ولكن الشابة نظرت إليه بشيء من الرضا !

أنزل "تومي" ذراعه سريعا عند ملاحظته لابتسامة "إستير" ونظرت إليه وقالت مبتسمة :

- هل أوضحت ما أريده ؟

- بمنتهى الكمال .

استمرت "إستير" في تجاهل التلميحات . ضاقت عينا "تومي" من الغضب . دفعت السيدة الشابة الباب ،ووافت "دان" .

وبينما هي في طريقها إليه لتطمئنه واتجهت نحو السيارة . ارغمت نفسها على السير ببطء بينما كانت تود الهرب مثلما حدث في الماضي .

ولكن الفتاة الصغيرة البريئة قد صارت شخصية لا تستطيع أن تنال منها التهديدات أو تهزها . .

الفصل الرابع

قطعت المسافة في صمت حتى المستوصف . ولم تكن "إستير" ترغب في التحدث عن "تومي" . بأي حال ولم تكن تريد أن يشترك "دان" في الخلافات الماضية إذ إنها لا تعنيه . بالتاكيد "دان" قد نما إلى علمه أشياء سيئة وهو ما شعرت به من أسئلته ، ولكن من الأفضل للجميع عدم الخوض في المزيد .

كان مستوصف الشركة صغيرا ولكن جيد التجهيز والصالة الجديدة للأشعة تمكن من سرعة تشخيص أمراض الرئة المنتشرة عند عمال المناجم ، وتحديد موضع الألم . في الماضي ، كان دكتور "إيفانز" يعالج كل هذا بقدر استطاعته أو يقوم بنقل المرضى إلى مكان آخر . شرح لها "دان" كيف تمكن من الحصول على تجهيز كهذا . لم تستطع "إستير" أن تمنع نفسها من التفكير في الطريقة المتجردة والمحترفة التي يتكلم بها كما لو كان الأسبوعان الماضيان لم يوجدا .

لم يكن يبدو عليه لحظته أنه غير مهتم بها كما لم يهتم بمريضه من قبل . بينما كانت ترتدي ملابسها بعد مرورها على جهاز الأشعة شعرت "إستير" بأنها محبطة

www.elromancia.com

لحقت السيدة الشابة بالدكتور "چاكوبي" في الاستقبال حيث كان ينتظرها بفارغ الصبر لكي يرحلا .

تساءلت "إستير" : إذن .. ؟

- إذن ماذا ؟

- أسوف تقول لي : ما الذي لا يسير على ما يرام ؟

- كل شيء يسير على ما يرام .

- لست متأكدة هكذا .

تمتمت "إستير" :

- تعالي يا "إستير" . لقد كان يوما طويلا بالنسبة لك - لا أريد أن ترهقي نفسك أكثر من ذلك .

خرج "دان" من المستوصف دون الالتفات . فتح لها باب السيارة ثم اغلقه بعد أن دخلت . قبل أن تكون "إستير" قد اقفلت حزام الأمان ، كان قد انطلق .

لم تمض الأمسية بشكل مختلف . ما إن رجع "دان" حتى راها تستريح، بينما حبس نفسه في مغارته .

مر العشاء في صمت حتى عرضت "إستير" اللعب ، ولكنه رفض متعللا بتاخره في قراءاته . شيء ما في تصرف السيدة الشابة قد أحزنه . رتبت "إستير" آنية الطعام وحدها ثم عادت إلى غرفتها وبدات في تعليق ملابسها . لم يكن بها ما يحمل توقيع اي المصممين على عكس ما اعتادت شراءه . في قرارة نفسها ، لم تكن تعير هذا الأمر اي أهمية . المهم بالنسبة لها كان باستطاعتها شراء ما تشاء . وقتما تشاء حاولت بعد ذلك القراءة لكنها لم تستطع كانت تفتقر إلى مشاركة "دان" في أن يكون هناك وله وجود ساهر معها ومعتن بها لقد أصبح بالنسبة لها شيئا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه .

وبدون تردد اغلقت كتابها - واتجهت نحو المكتب .

كان الباب مفتوحا ووجدت الطبيب واقفا أمام النافذة الزجاجية محدقا في الليل .

وتساءلت "إستير" :

- هل الكتاب مشوق ؟

ببطء استدار نحوها ، ونظر إليها وهو تائه .

- لا أستطيع التركيز .

- لماذا .. إذن ؟

تنفس بعمق وحاول التعبير وهو متحير :

- أعلم اني اتدخل فيما لا يعنيني ... كنت أود الا أشعر باني معني ولكن لا أستطيع .

- ما هذا الذي لا يعنيك ؟

- أنت ، حياتك ، شعورك تجاه كل هذا .

- هل فعلت ما يسوء ؟

- بحق السماء ، لم لا تضعين النقاط فوق الحروف مع "تومي بل دون" ؟ بالتاكيد ، لم تكن تستطيع ان تخمن حجم معرفته .

حاول "دان" تهدئة نفسه . عبر الغرفة ببطء ليكون قبالتها ويدعوها للجلوس على الأريكة .

- أعلم كل شيء عنك يا "إستير" .

صوت الطبيب كان ينم عن رقة وإخلاص .

- أعلم من أنت ، من كان والداك ، ما حدث بينك وبين "تومي" و"چيول" ؟ ولماذا كان رحيلك ، بينما كنت لا تتجاوزين السابعة عشرة من عمرك ؟

العرض الذي قدموه لك ثمنا لابتعادك وصمتك . لم يكن يجب أن أعرف ، ولكني عرفت شخصا واحدا هو الذي كان يعلم الحقيقة، إنها "أدي" غير أنها لم تكن لتدع أحدا في العالم يعرفها. ذهبت "إستير" للتخمين فيما قد يكون يفكر "دان" . إنها لن تكشف عن أي حكم سلبي فقط كل أحترام واهتمام .

تساءلت بصوت مخنوق :

- أخبرتك أمي بكل هذا ، أليس كذلك ؟ لم يستطع النظر في عينيها واكتفى بالضغط على يدها .

- لا ، ليس كل شيء . فضلا عن أنها لم تكن على علم بكل الحقيقة .

رفع "دان" عينيه نحوها . رؤيتها حائرة ومتالمة أشعرته بالخجل . كل رغبته كانت أن يضمها نحوه ، يخفف عنها ويطرد عنها للأبد هذا

الشعور بالخزي الذي تحمله في نفسها .

- كنت تبحثين ، ذلك اليوم ، إذ كان المخبأ في الأرضية ما زال يحوي هذا .

قال وهو يفتح درج مكتبه :

- أخرج الطبيب منه أجندة لها حلزونات ومدها نحوها . تناولتها "إستير" برقة وضمتها إلى قلبها :

- مذكراتي !

- لقد وجدتها منذ أربعة أعوام . كنت سأبعث بها إليك ولكن ... كيف السبيل إلى البوح لها بأنه كان يعتبرها كنزا ، قرأها مرارا حتى أصبح يحفظها عن ظهر قلب ؟ الآن ، يشعر أنه مذنب بفضوله .

- أقرأتها ؟

نعم مما زاد من شعوره بالألم .

- أنا آسف يا "إستير" . كان شيئا أقوى مني .

بالتأكيد هذا ليس عذرا . سامحيني .

- "دان" كان يبدو عليه الشعور بالخطأ لدرجة أنها لم تكن تعرف أيهما أعمق جرحا .

- هذا أفضل من لو كان صحفيا هو الذي فعل ذلك كنت ستصبح غنيا لو كنت قد بعتها .

- لم أكن لأستطيع أبدا .

فجأة شعر بأنها لا تكرهه لفعلته هذه .

- لقد هزتني "إستير" . لم تأتني الشجاعة لأبعث بها لأنها تمثل الكثير بالنسبة لي .

كان الطبيب يعرفها من خلال هذه المذكرات أكثر من الذي كان يعرفه "سيث" .

- ربما علي أن أقوم بنشرها ؟ قالت :

- لو ضحكت "إستير" لكانت شعرت بضيق شديد .

- لن يكون بالأمر السيئ فيما يخص أل "بل دون" سوف يعرف الجميع أي نوع من البشر هم .

- لقد جن جنوني لعدم ردك عليه ، بعد ظهر هذا اليوم . من يظن

نفسه ليأمرك بترك المدينة ؟

- إنه يشعر بالخوف .

- فليستحق ذلك . وأنت ، لم تكوني تشعرين بالخوف منذ سبعة عشر عاما ؟

- هو ليس مثلي . كان لدي العالم كله بانتظاري . هو لم يكن لديه سوى "بل وود" .

- لا تحاولي إيجاد الأعذار لوغد مثل هذا .

- إن الوغد هو أنا - أتذكر ؟ ردت وهي تضحك بعصبية وفوق هذا ، هو لا يعرف أني أخونه .

- وماذا يغير هذا في الأمر ؟ تصرفه كان عنيفا ومنفرا . لم يكن عليه أن يتنصل منه هكذا بسهولة . أظنه دفع ثمنا غاليا لهذا الدرس الذي أراد إعطاءه لي .

- اليوم ، رأيت العلامة الباقية من تلك الليلة . صدقني إن هذا ليؤلم دائما .

أي درس أراد تلقينك إياه ؟

- آه ... منتهى الفضول من جانبي ... في رأيي ، ما فعله ليس له عذر أبدا .

- من الصعب شرح ذلك . لقد سببت مضايقة فعلا لـ"تومي" في عدم احساسي أبدا بالوصاية أو بالخجل لعدم وجود أب لي . كنت أعرف من أنا . كنت دائما أشعر بأني شيء فريد ، حلمت دائما أني شخص آخر . لقد بنيت سورا بيني وبين الآخرين . كان بإمكان أي إنسان أن يقول ما يريده عني ، لم يكن هذا ليمسني ما دمت أشعر بأني شيء غير عادي .

السبيل الوحيد لمضايقتي كان التعريض بأمي . لهذا تكلم "تومي" عن أمي وعن عملها .

نظر إليها "دان" طويلا .

- نعم ، بالفعل كانت فريدة ولا تقارن بأحد .

- والآن بما أن والدتك لم تعد موجودة فإنه لا يستطيع أن يجرحك ، أليس كذلك ؟ وستتركين "تومي" يعاملك على أنك أقل .

على الرغم من علمك بأنه أخوك ، لماذا لا تلقنينه درسا ؟

www.elromancia.com

- أنا لا أبحث عن الشجار ولكن لن أتركه أبدا يعاملني هكذا . إن ماضي لا يزعجني بل يشرفني ولكن الغضب والكره يتطلبان الكثير من الطاقة - إن آل "بل دون" لا يساوون قيمة ما سابذله في الانتقام . لم تكن "إستير" تحتمل فكرة أن تكون دائما قابلة للجرح.

أجبر "دان" نفسه على فهم وجهة النظر هذه .

- إنك تثيرين إعجابي يا "إستير" . أعتقد أني لو كنت مررت بكل ذلك لكنت أصبحت لا أفكر في سوى الانتقام . على أي حال فإني أرى أن "تومي بل دون" لا ينقصه إلا الثبات في معاملتك بهذه الطريقة اليوم . كان يستطيع على الأقل أن يكون مهذبا .

- ش .. ش : قالت وهي تضع أصبعها فوق شفتي "دان" : أرأيت ؟! هانت ذا قد وجدت نفسك متورطا في الأمر وهذا بالضبط ما كنت أخشاه . أستطيع التصرف وحدي . شيء جميل الإحساس بأنك تتولى الدفاع عني ولكن هذا ليس ضروريا .

- أنا لا أبحث عن الانتقام . حياتي جيدة جدا كما هي .

- ماذا تريدين إذن يا "إستير" ؟

طرح الطبيب عليها هذا السؤال في هدوء ولكن الإجابة كانت تهمه أكثر من أي شيء .

قالت :

- فقط مواصلة حياتي كما أشاء . ما أتيت للبحث عنه ليس له أية علاقة بآل "بل دون" .

كان غريبا بالنسبة لـ"إستير" فكرة أن ثمة أحدا يعرف أسرارها الأكثر خصوصية وعلى هذا أصبحت واثقة باستطاعتها الكلام معه عن الماضي بسهولة .

- هل أستطيع القيام بشيء لمساعدتك ؟

- عانقني ثانية .

لم يكن من الصعب عليها التعبير عن رغبتها لـ"دان" بما أنها واثقة بعفتها . كانت السيدة الشابة تريد أكثر من أي شيء أن تشعر بأنها في أمان معه . كانت تثق به ، وضع "دان" يده عليها . كانت النظرة الخضراء للسيدة الشابة تشع سعادة . مما جعلها تستشعر نضارة

سنواتها الستة عشرة .

- أتنهين دائما المناقشات الجادة بهذه الطريقة ؟

- أكانت مناقشة جادة ؟

أجابت :

- نعم . عندما أريد أن تكون لي الكلمة النهائية ألجأ أحيانا إلى "تكتيك" معين .

- إذن ستتذكر هذا . في المرة القادمة ، لن تصلي إلى هدفك بهذه السهولة .

- تعلم بالتأكيد أن هذا لم يبدلي حتى الآن .

- هل تعانقني أم تود الحديث طوال الليل ؟

استسلمت "إستير" لعناق طويل - كانت تعطي كما تأخذ .

- "إستير" إنك تقودينني إلى الجنون ؟

- لأنني لا أريد إلقاء الضوء على "تومي بل دون" ؟

- لا ، بل ولأني واقع في غرامك بشكل يائس .

- هل هناك ما زلت تخفينه عني ؟

- نعم ، الكثير هيا إذن ، لا أدري إن كان باستطاعتي تحمل اعتراف جديد ابتعدت عنه محاولة استكشاف نيته .

- لا أستطيع أن أصدق أنك غير غاضبة مني . عندما وجدتك في "بل وود" شعرت بالدناءة .

قالت :

- أقر بأني غير مغتبطة لعثورك وقراءتك لمذكراتي . إلا أن الأمر كان من الممكن أن يكون أكثر سوءا .

- ذاك هو الدليل - خلف المرآة المتكلفة تقف الفتاة الصغيرة التي في المذكرات .

عانقها ثانية - لم يستطع "سيث" أبدا أن يحرك فيها هذه المشاعر غير أنها كانت تحبه بإخلاص . كان يحميها ، وكانت تقدره . كان أفضل صديق بالنسبة لها كان حنونا محبا وأبويا . إلا أن ذلك لم يكن له أية صلة بالإثارة التي تشعر بها مع "دان" . كانت في منتهى السعادة بينما "دان" يعانقها .

- أريدك يا "إستير" أكثر من أي شيء في العالم ، ولكن ...

www.elromancia.com

عند هذه الكلمة ، اختلج قلب الشابة بالم .

- ولكن ينبغي علينا التحدث في بعض الأمور . قبل أن أحبك - أريد ترسيخ علاقة في غاية النزاهة ولن يكون بإمكاننا البدء من الوراء .

مثل التي برئت من تهمة :

- فكرت "إستير" في كلمات "دان" الحارة وكل شيء بدا لها في غاية البساطة ... ولكن ثمة حقيقة لاريب فيها أن كلا منهما يريد الأخر ولا شيء غير ذلك . كانت تشعر بقلبها يتمزق لمجرد فكرة أنها ربما تجرحه لعدم إخلاصها .

قالت لتتكلم الأن :

- لا أحاول نكران إلى أي حد أريدك . لقد القيت بنفسي بين ذراعيك . وتعارفنا منذ مدة قصيرة وأجدك طيبا وحساسا وأحيانا، تكون مداعباتك جافة ولكن تعجبني .

- "دان" ليس هذا ضروريا يا "إستير" .

- بلى ، هو كذلك . أريدك أن تفهم . كانت تشعر بالذعر بطريقة غريبة. الشخص الوحيد الذي كانت "إستير" تعتمد عليه كان "أورمي أدي ماركام" الذي كان غريبا - كانت تضع ثقتها به .

تنفست "إستير" بعمق وتابعت حديثها :

- لا أعتقد بالقصص الخيالية . السعادة أعيشها وأينما أجدها . لا تطلب مني ضمانا لما أقوله لأني أستطيع أن أوفره لك.

أمسك بها "دان" من كتفيها وأجبرها على رفع عينيها نحوه .

- أفهم . ولكن هذا ما تشعرين به أنت . أما عني ، فانا أؤمن بالأحلام وأعيش بين النجوم . إنني أثق بالناس . يجب عليّ ذلك وإلا فلن يكون لحياتي معنى . أنا أؤمن بك . أنت تحاولين حمايتي بتحذيري بأن مستقبل الاثنين هو شيء احتمالي . أقدر لك تصرفك ولكنه بلا فائدة . سوف نبني مستقبلنا معا . ولكنك لست مستعدة لقبول ذلك .

- قالت بأسى :

- "دان" من فضلك ... لا أريد خداعك وأن أرتبط نهائيا . إنك تستحق أكثر مما أستطيع منحه لك .

ابتسم منبهرا وعانق "إستير" بشغف ينم عن عاطفة طال سهادها ،

بسبب تجاوبها معه .

- أرأيت . هذان سيان عندي . سوف أكون دائما هنا من أجلك . ولكن فكري الليلة فيما قلته لك .

- أخذت "إستير" تقلب الفكرة في رأسها طوال الليل .

حلمت بأن تكون من جديد مع "دان" . ماذا يمكن أن يكون مراده منها ؟ الحب ؟ لم يطلب "سيث" منها سوى الثقة والصداقة . ألا يمكن أن يكتفي بذلك ؟

ودت السيدة الشابة لو أعطته أقصى ما في استطاعتها ولكن أيجب أن تكذب وتتعهد بما قد لا تستطيع الوفاء به .

www.elromancia.com

الفصل الخامس

أثناء الإفطار لم يبديا أية ملاحظة فيما يخص الليلة الفائتة . كان "دان" ودودا وطبيعيا ولكن كان يتصرف كما لو لم يكن يلاحظ تأثير نظراتها . هل يعقل ألا يكون الطبيب يريدها كما تريده ؟

يبدو أن الجنون قد سكن جسد وعقل السيدة الشابة وجعل أحاسيسها تضطرب .

ثم تساءل "دان" :

- ما قولك بالذهاب إلى "واشنطن" في يوم إجازتي ؟

- ماذا ستفعل هناك ؟

- لنتسلى .

- اتفقنا .

- لا تتحمسي كثيرا . هذا اقتراح . مازال عندي عدة أيام من العمل . فكري إذا لم تكن الرحلة متعبة ...

- لا على الإطلاق . سأكون مسرورة بالذهاب هناك . فقط أشعر بشرود تفكيري هذا الصباح . ابتسم "دان" وكشفت عيناه عن نظرة نافذة أرهبتها . بما أنه يعرف أسرارها فقد أصبح من السهل عليه

قراءة أفكارها .

لحسن الحظ لم يعلق . قام عن الطاولة واستعد للتوجه للمستشفى .

- استريحي اليوم . سوف نتكلم لاحقا .

- نامي في أثناء الليل وفكري بالنهار .

تمتم : لايهم سوى أن تكوني بصحة جيدة .

- كانت السيدة الشابة تنهي غسيل الأواني عندما سمعت هدير محرك دراجة بخارية على الطريق المؤدي إلى المناجم . دارت الآلة داخل الممر المؤدي إلى المنزل ووقفت أمام سلم المدخل . "ايدي بل دون" جاء ليزورها . جلس المراهق على درجات السلم . كم من الوقت سوف تستغرق الزيارة يا ترى ؟

لبست "إستير" سترة مصنوعة من صوف خفيف كي لا تعرض نفسها لغضب "دان" إن هي أصيبت ببرد وجاءت لتستقبل ابن أخيها .

فكرة أنها عمته كانت تبدو لها غريبة . القرابة الوحيدة كانت تتلخص في أمه التي لا تنتمي لعائلته وآل "بل دون" لا يعتبرونها كذلك .

- صباح الخير ، أي ريح طيبة أتت بك إلى هنا ؟

أجاب مبتسما : صباح الخير . هل مجيئي إلى هنا به شيء ؟

- بالنسبة لي شخصيا ، لا ولكن بالنسبة لوالديك فبالتأكيد .

- أطرق "ايدي" رأسه واثقا بما تعنيه الملاحظة بالضبط .

- كان عليك أن تسمعيهما وهما يصرخان الليلة الماضية . هما لا يحبانك فعلا .

من الواضح أن ما يفكر فيه والداه لم يكن يزعجه على الإطلاق . أفضل ألا أعرف شيئا يا "ايدي" . لم يكن بيننا أية صداقة نحن الثلاثة في يوم من الأيام .

قال محاولا تغيير مجرى الحديث :

- إنك شخصية مشهورة .

- هذا ما يقولونه .

جلست "إستير" على درجات السلم إلى جانبه وهي لازالت تتساءل عن غرض الزيارة .

- هل كان شيئا صعبا في البداية ؟ أكمل .

www.elromancia.com

- نعم ، ولكني حالفني الحظ .

- ما الذي جعلك تقررين . الرحيل .

من الظاهر أنه كان يجهل كل شيء عن ماضي والده و"إستير" . - كثير من الأسباب . أهمها الهدف الذي حددته لحياتي . لقد قررت أن أتخطى حاجز المألوف . هناك دائما مرحلة حاسمة في حياة كل منا . كانت السيدة الشابة تفسر في هدوء . كان شيئا غريبا التحدث مع ابن "تومي بل دون" ولكنها كانت تشعر بمنتهى الراحة معه .

- هل تريدين أن تقولي : أني أنا الآخر باستطاعتي الاختيار ما بين الحياة مثل حياة أبي أو أن أصبح شخصا مختلفا تماما ؟

كان الموضوع يستهويه .

- إنها حياتك أنت ، لا أنا - هكذا أبدت رأيها . ظلا صامتين بضع لحظات كانت الريح تهب وتمر بين أغصان الأشجار العارية من أوراقها محدثة بها قطوعا وأصواتا .

كان دوي المنجم مسموعا . ثم ظهر "چاسبر" ولكنه ظل بعيدا .

- هل كان "سيث" بسيطا كما كان يبدو عليه ؟

- نعم ، كان بالفعل لطيفا . أجابت "إستير" بصوت عذب مليء بالأسى .

قال "أيدي" بأسلوب غير لبق:وأيضا طفلك حزين من أجلك لموته.

- شكرا .

تأكدت السيدة الشابة من أنها تحب هذا الصبي على الرغم من كل شيء . كان يمر بمرحلة سنية صعبة والتي فيها يكون المرء مازال صغيرا عن أن يصبح راشدا ، كبير للغاية عن أن يظل طفلا . كان "أيدي" مفكرا وحساسا . سترته الجلدية السوداء ودراجته البخارية الضخمة كانتا تساعدانه على إخفاء رقة مشاعره .

كان المراهق يسرح بنظره فيما حوله دون هدف وهو يشعر بعدم الارتياح .

- يجب أن أذهب ، ولكني أودلو أعود مرة أخرى لو كان هذا ممكنا .

- بالتأكيد . بشرط ألا يمانع والداك . نحن لسنا في حاجة لمشاكل إضافية . اتفقنا ؟

- حسنا . وعلى الرغم من أنني لا أفهم لماذا كل هذه الضجة . إنك تبدين لي شخصا جديرا بالثقة .

ضحكت "إستير" .

- شكرا ، وأنت أيضا .أجابها "أيدي" بابتسامة .لبس خوذته السوداء ثم رحل .

زيارته المختصرة المفاجئة جعلت السيدة الشابة متحيرة بشان غرائب الطبيعة . كيف تسنى لـ"تومي" و"چيول" أن يجعلا ولدهما ينجح؟

- مرت الساعات بين زيارة "أيدي" والغداء ببطء أتلف أعصاب "إستير" . كان الجمود بمثل خاصية لم يكن عقلها ولا جسدها يقبلانها . كانت تشعر بملل وكانت منهكة من كم الأسئلة التي لا تجد لها إجابة والتي ترفض الإجابة عنها . حتى "آدي" لم تظهر إلا بعد مرور ساعة . لم يكن لـ"إستير" خيار آخر سوى الخروج للتنزه . السترة الثقيلة ذات القماش اللين التي اشترتها بالأمس تكاد تكون متصدية لرياح شهر مارس الثلجية . كان الهواء البارد يصفعها وينير فكرها ويحرك أحاسيسها . وهو بالضبط ما كانت تحتاجه في طفولتها ، كانت فصول الشتاء تبدو وكأنها دائمة للأبد . على طول الطريق ، تذكرت كم كانت تشعر أن نفسيتها محبطة لرؤية العشب والأشجار الميتة . كانت تسلك هذا الطريق باستمرار للحاق بالأوتوبيس أو العودة إلى المنزل ...

ماخوذة كلية بذكرياتها ، لم تسمع ولم تلحظ السيارة السوداء . كان "تومي بل دون" عائدا من المناجم ، أبطأ سيارته وأوقفها على الجانب المنخفض من الطريق . شعرت "إستير" بالخوف . في المرة الأخيرة التي كانت فيها في هذا الموقف - حاول "تومي" خطفها . كان ذلك منذ سبعة عشر عاما مضت . أكملت سيرها عن عمد .

- "إستير" !

ووقفت قبالته .

- بالأمس ، فكرت فيما قلته لك . لا أريدك في مدينتي . لم تتسببي أبدا سوى بالمتاعب وهو ما لن أتسامح فيه أبدا .

- يكفيني "تومي" ، لا أستيطع أن أكمل هذا النقاش .

www.elromancia.com

قالت وهي تكمل طريقها .

- لماذا عدت بعد كل هذا الوقت ؟

- ليس هناك ما تتخوف منه . لقد رجعت لأسباب شخصية .

- بما أن "سيث توبان" لم يعد معك الآن ، فإنك جئت لترين كم يساوي ماضيك وهل إذا كان على مستوى الجمهور المتشوق . لم لا ؟ كنت أتساءل متى ستظهر حقيقة الصغيرة "فيرجين" الغريبة على السطح .

ضحكت "إستير" وهي تحرك رأسها في هيئة المتشككة .

- يالها من فكرة ! إن لديك ما تخفينه أكثر مما لدي .

كون الإنسان طفلا غير شرعي هو أمر لاقل حرجا من محاولة خطف شخص ما ، ألا تظن ذلك ؟

ارتسمت على قسمات وجه "تومي" ملامح الحدة . كشفت عيناه عن بريق ينذر بالخطر .

اسمع ، أكملت . إني أعرض عليك صفقة . أنت تبقي نفسك بعيدا عن طريقي طوال فترة وجودي هنا ، وتدع "آدي" والطبيب "چاكوبي" لحالهما وأنا أضمن لك أن سرك يظل بيننا . أعلمك . أنا لست بالتي تستطيع إلقاءها خارجا .

- افعلي ما يجب عليك فعله واغربي عن هنا . أعلمك بأنك لو لم تبقي في مكانك ، فسوف أكون موجودا للقائك خارجا قبل أن تتمكني من أن تأخذي نفسك .

- ليس عليك أن تقنعني . إنك تنبح كثيرا .

- لا تستهيني بي .

لم يضف "تومي" شيئا .

- الأيام التالية لم تتميز بشيء جديد ، مما زاد من انزعاج "إستير" جعلها سلوك عصبية . كان يبدو وكأنه لا يستطيع المرور بجانبها دون أن يلمسها . مما كان في كل مرة يضع أحاسيس الشابة في حالة تأهب.

- بالتأكيد يريدها وقد قال لها ذلك . ولكن الأمر لم يكن ليتعدى ذلك . قررت "إستير" أن أملها الوحيد هو المقاومة بحيث تستغل كل الفرص للحصول على الرضا .

عندما كانت ذراع "دان" تلتف حولها - ويقترب ليشم رائحة العشاء

الفاخر الذي تعده ، كانت تشبك يدها بيده بدورها وعندما تأكدت من تعاون الطبيب . أخذت "إستير" تمضي في هذا الاتجاه في المساء أمام التلفاز ، تكون بين ذراعيه وأعربت له عن شعورها . ابتسم لها في سعادة عانقها طويلا .

كانت مستعدة لأن ترد عليه عندما قال لها بصوت منخفض :

- يجب عليك أن تذهبي لتنامي إذا كنت تودين الذهاب معي في صباح الغد إلى "واشنطن" . تبينت "إستير" شرارة ممازحة في عيني "دان" ، ولكنه كان جادا . أحست بأنها ضائعة بالرغم من أنه كان مازال يربت وجنتيها بحنان كان فكرها شاردا . لم تجد شيئا آخر لتقوله . المهم أنها كانت حائرة على إعجابه .

- أعتقد ذلك .

حاولت الشابة بصعوبة إخفاء خيبة أملها فجذبها "دان" إليه .

- كل شيء سياتي في حينه يا "إستير" . أعدك . لو أن هذا سوف يخفف عنك فإنه يشق عليّ أيضا . ولكنك لا تعلمين شيئا عني، يجب أن تعرفيني . فيما بعد ، سيكون الرجوع إلى الوراء صعبا للغاية .

- إنك تتكلم كما لو كنت مجرما خطيرا،تعارفنا سوف ياتي تباعا.

- لا - بالنسبة لي هذا أمر مهم .

- بالتأكيد تزداد معرفتنا بعضنا ببعض بصورة مستمرة . ولكن هذا لا يكفي .

- معك حق يا دكتور . الرجل لا يستطيع أن يقع في الحب هكذا بسهولة مع ابنة غير شرعية لبائعة هوى . لا غرابة في هذا .

قالت "إستير" وهي تشعر بأنها مجروحة .

- لم أكن أتكلم عنك يا "إستير" . إن حياتك لكتاب مفتوح . كنت أود الكلام عن نفسي .

- أعلم أنك لطيف ، عذب ، متفهم .

- إنني أثق بك . إنه بالفعل أكثر من كل الصفات الحسنة التي استطعت أن أجدها في الناس الذين قابلتهم .

- أعلم يا عزيزتي أنه كان من الممكن أن تمكثي مع "آدي" لو لم تجدي في شخصي ما يجذبك . اتركي لي بعض الوقت كي تتمكني من

www.elromancia.com

معرفتي.

قبلت كارهة . لماذا لا يظهر لها شيئا عن نفسه ؟

لم يكن خجولا على أي حال ويستطيع التكلم . ماذا يخفي إذن؟ رحلتهما إلى "واشنطن بدات عند الفجر . النهار كان ينبئ عن أنه سوف يكون جميلا ولكن الهواء ظل باردا .

لم يستطع الثلج المتساقط منذ فترة قريبة الذوبان بسبب البرد كان محرك السيارة البرونكو دائرا لكي يجعل السيارة تسخن . كانت "إستير" تتجمد أثناء الانتظار .

احمر أنف "دان" ووجنتاه بعد ما مسح أثر الثلج المتساقط من الجزء الواقي من الصدمات في السيارة .

- رباه ! إن الجو بارد !

قال وهو جالس أمام عجلة القيادة .

- ألم تفكر قبلا في العيش في "كاليفورنيا" ؟

- لا . مم سأشكو هناك ؟

- من المطر .

- أعشق المطر . وخاصة في الربيع . لأن كل شيء يصبح أخضر اللون من جديد وهذا شيء جميل . إن عودة الحياة إلى الطبيعة من جديد تحمل معها خطا جديدا لكل شخص .

- حقا ؟

- نعم . في كل شيء ! حياة جديدة . قصص حب جديدة .

- هل تتأقلم هكذا بسهولة مع الفشل كما تتأقلم مع النجاح ؟

- للأسف . لا . أجد صعوبة في قبول الفشل . هذه الكلمة التي تحمل في داخلها التشاؤم ارتدت إلى سمع "إستير" بشكل غير مستحب . إنها لا تتساهل مع هذه الكلمة في حياتها الخاصة . فقطع "دان" الصمت :

- اسمعي . لو كنت بمفردي لقمت بهذه الرحلة أثناء النهار ولكن هذا يتطلب خمس ساعات فقط للذهاب . كنت ستشعرين بالإرهاق . ما رأيك بالنوم في مكانك ؟ سوف نعود باكر في الصباح .

- تصرف كالمعتاد . لا تغير شيئا من أجلي . سأنام في السيارة .

- في الواقع إنك السبب في هذا التغيير في البرنامج ولكن الدافع

أناني للغاية لم تسنح لي الفرصة للخروج مع امرأة جميلة منذ زمن .

- شكرا على الدعوة . ولكني لست مرتدية شيئا مناسبا .

- معظم السيدات سيكن مضحكات وهن يلبسن مثلك .

قال "دان" وهو يلقي نظرة على ملابس "إستير" . أنت رائعة لا مشكلة . سنتوقف عند خالي . سيكون مسرورا .

تتابع منظر الشتاء تحت ناظريهما . كانا يثرثران في بهجة . وصف والداه وأخته الصغيرة الذين يعيشون في "ڤيرجينيا" . كانت عائلته تنحدر من سلالة كبيرة من الأطباء كان "دان" يتكلم عن هذا بزهو . غير أنه لحظة . شعرت "إستير" بحزن غير معتاد يعتريه . كان حزنا عابرا مما جعلها تشعر بأنها محور خياله . وصل بالسيارة عند خاله . كان طبيبا هو الآخر . وقد احتضن "دان" عندما كان طالبا . إلى جانب أنه كان رتبه عندما تحول تخصص المستشفى إلى الجراحة العاجلة .

- كان حلمي . في زمن بدأ الناس فيه التعرف على أهمية هذه الخدمات . كان الحصول على شخص مدرب تدريبا جيدا يهدر الكثير من الوقت . الآن لا توجد ثانية واحدة ضائعة . أنهى كلامه بفخر .

- أبسبب إحساسك بالضيق وقالت مقرة : تدفن نفسك في "بل وود" ؟

أجاب "دان" بصراحة :

- لقد عشقت هذا العمل . ثم أدمنته . لم يكن هناك شيء آخر في حياتي . كلما أعطيت من ذاتي . أخذني العمل في تياره .

- إذن . الانتقال إلى "بل وود" - كان مفترضا به الخروج من الدائرة ؟

- في البداية - لم يكن ذلك إلا فترة مؤقتة - ثم اكتشفت أنهم بحاجة إلي هناك . أثناء الخدمة . لم أكن أعالج أفرادا كنت أقطع اللحم على منضدة . لم أكن أتحمل ما وصلت إليه .

كان صوت الطبيب يرتجف من الخجل .

خيم الصمت عليهما . بحثت "إستير" عن كلمات للتخفيف .

- "أدي" مقتنعة باستطاعتك السير فوق الماء وقالت :

- إنها لا يمكن أن تفكر بأنك غير منتبه مع الآخرين .

- وأنت يا "إستير" . أتظنين أن باستطاعتي السير فوق الماء ؟

- بصعوبة أجابت ضاحكة . عندما رأيتك أول مرة . ظننت أن عينيك

www.elromancia.com

قاسيتان . ولكن على الفور شعرت أنك طيب وتعاني الوحدة . الآن ، أجدك متفهما جدا لماضي على الأخص .

- أتضايقك معرفتي للحقيقة ؟

- نعم ولا .

- هل تريدين معرفة في ماذا أفكر ؟

- لست واثقة .

- بداية ، أنت لست الفتاة غير الشرعية الأولى أو الأخيرة . ثانيا ، ليس خطؤك أنك ولدت وهو الشيء السار بالنسبة لي. ثالثا، لم يحز أحد على إعجابي ولا احترامي مثل فتاة المذكرات الصغيرة إنها ذكية ، متعقلة ، طيبة وأنا مغرم بها . هذه الكلمات أخافت "إستير" . ما دام "دان" يتحدث عن حبه إذن فهو يريد أن يسمع ردها . الثقة به ، الاعتماد عليه ، اعتباره صديقها - أهذا هو الحب ؟

كان بداخلها هذا الكم من الانجذاب ، هذه الرغبة في أن ترضيه وتسعده ولكن أليس هذا مجرد إحساس حيواني ؟

الحب الوحيد الذي شعرت به ، أعطته لصغيرها دوني . كيف السبيل للتفسير لـ"دان" بأنها لم تعرف أبدا كيف يكون الحب المتقد بين رجل وامرأة ؟

لم يبحث الطبيب عن اعتراف لكن الكلمات عرفت طريقها بسهولة إلى شفتيه كما في أحلامه .

- كان باديا على "إستير" أنها على وشك الهروب . سوف تأتي اللحظة التي تقر فيها بأحاسيسها الخاصة . كم كان مريحا بالنسبة لها أن ترى "دان" غير متألم لصمتها . على العكس ، كان يحاول التخفيف عنها وإراحتها . ضحكت على نوادر المدرسة واستمعت باهتمام لملاحظاته عن "بل وود" .

حقيقة لو كانت تعلم أن وضع "دان" أمام عجلة القيادة سوف يجعله ثرثارا إلى هذه الدرجة - لكانت فعلت ذلك منذ أسابيع. كان يكشف الكثير عن نفسه . كانت "إستير" تستوعب كل ما يقوله ومتعطشة لمعرفة المزيد . إن سيل الكلمات قد وضع الأسئلة في حيز الكتمان .

وصلا إلى "واشنطن" قبل الظهر بقليل وتوجها في الحال صوب مقر

أنيق وقديم لـ"جورج تاون" والذي كان يمتلكه الخال "فستوس".

- إن هذا الولد لا يعرف شيئا عن آداب السلوك .

قال الخال فستوس شاكيا : ليس فقط بل أيضا لم يخبرني مسبقا بمجيئه ولم يذكر لي أبدا أنه يعرفك . إنني واحد من معجبيك .

- شكرا ، دكتور "جوردان" ، لكن ...

- "فستوس" ، إذا سمحت .

- شكرا جزيلا ، "فستوس" ، ولكن أخشى أنه خطئي أنك لم تعلم بمجيئنا

- لا ، لا ، لا تؤاخذي نفسك بسببه . إنها عادته ، إنه يعتقد دائما أنه مرحب به . هذه المرة اصطحبك معه ليفاجئني . "دان" يأمل أن أصاب بأزمة قلبية وأن أترك له المنزل .

كان "فستوس ألبي جوردان" يقارب السبعين ، وكان طويل القامة ، ونحيفا مثل ابن أخته . كان لون وجهه كامدا وعيناه سوداوان كان يتنسم روح الشباب والحيوية . نظرته تلمع من الظرف والألمعية .

كان العجوز فخورا بمنزله الذي كان قد اشتراه منذ ثلاثين عاما مضت وقد اصطحب "إستير" لتشاهده بينما ذهب "دان" لمصافحة مديرة المنزل ولطلب قهوة .

أظهر مجموعاته الثلاث : الأثاث العتيق ومجموعة من كسارات البندق ومجموعة من الأدوات الطبية القديمة .

- بعضهم لا يخلو من البراعة ، بالقياس إلى قلة المعرفة بالطب في ذاك الوقت . انظري هذا المشرط ، لقد تغير قليلا على مر العصور . ما رأيك إذن بالطب الحديث ؟

قال "دان" :

- يكفي أن نتوقع أن الناس قد تغيروا - حاملا صينية ، دخل إلى الحجرة . شعرت "إستير" بالسرور لوجوده .

- هل لنا أن نتشاور أكثر حول قدرات الطب الحديث غير المسبوقة ؟

قال العجوز وهو يجلس : يا للسعادة !

رد "دان" آسفا :

- ليس اليوم .

www.elromancia.com

- يا للخسارة ! أنا متأكد من أن "إستير" سوف تسر لمعرفة طريقة تفكيرك حتى في أدق الأمور .

- من الجائز ، ولكن ليس اليوم .

شعرت الشابة بأنها مضطربة وفي نفس الوقت تواقة لمعرفة المزيد .

- ليس هناك من الجائز . انظر لها . إن هذا ليجذبها .

التقت نظرات "دان" و"إستير" ، جاعلا إياها ترى مدى الصراع الذي بداخله . كان يبدو وكأنه يطلب نجدتها . ولكن اية مساعدة يمكن أن تقدمها له ؟

عاد "فستوس" إلى كلامه بعد ما وجدهما صامتين .

- "دان" يعتقد أن الجراحين ليس لهم الحق في أن يخطئوا . يجب عليهم معرفة كل شيء ، يتحتم عليهم أن يعملوا كل شيء ، وإلا فإن عملهم سيكون بلا فائدة .

زادت حدة التوتر وأصبحت خانقة . إلى أن خرق "دان" الصمت - بدا في صب القهوة وتمرير الفناجين - بدأ حديثه :

- كان ذلك منذ خمس سنوات كنت في الخدمة عندما أحضرت فتاة في الرابعة عشرة من عمرها . كان والدها قد أعطاها علقة لأنه اكتشف أنها تشتغل بأعمال سوء عند خروجها من المدرسة وأنها إذا كانت تريد أن تفعل ذلك فإنه يكون لقاء المال . توقف قليلا ليبحث عن الكلمات .

- كانت في حالة يرثى لها . لقد عملت ثماني ساعات على التوالي . وفي الواقع هي كانت قد توفيت تقريبا قبل ساعة . كنت لا أعرف حتى اسمها . خرجت من هناك وبداخلي إحساس بأني بلا فائدة . تساءلت : كيف يتسنى لي أن أصل إلى هنا . إن فكرة أن أمضي حياتي في خياطة جروح هؤلاء المساكين المشوهين بأيدي غيرهم كانت بالنسبة لي غير محتملة . فرحلت . تغلغل التأثر في نفس "إستير" . كانت تشعر بالتعاطف مع أحاسيس الطبيب بعينين تملؤهما الدموع - ظلت "إستير" ساكنة ، غير قادرة على التفوه بكلمة .

كان "فستوس" هادئا ، كان لا يبدو عليه التعاطف ، إلا أنها رأت في عينيه بريقا عابرا إلى جانب تصميم أكيد .

- كان لدي الوقت الكافي للتفكير بينما أنا في "بل وود" أحببت الطب

من جديد . معظم الحالات التي وجدتها كانت ناتجة عن حوادث أو كانت أمراضا لا يد للإنسان فيها .

- وبداك ؟ وتساءل "فستوس" :

- أو سوف تتركها تضمر بحجة أنك لا تستطيع اختيار الحالات التي تعرض عليك ؟ نظر الطبيب إلى يديه وقال :

- سوف أؤمن لهم دائما عملا : حالة ولادة ، تثبيت عظمة ، علاج جرح ، استئصال زائدة دودية ... سوف تجدان سعادتهما .

- بالتأكيد لا . هما بذلك لا تعطيان أقصى ما في وسعهما .

استدار "دان" ناحية "إستير" . كانت في أعماق قلبها تود لو تستطيع أن تضمد له جرحه . ولكنها كانت تشعر بالتمزق لعدم استطاعتها إيجاد الكلمات . بدا وكأنه يفهم ما يعتريها لأنه ابتسم لها .

- أما عنك مريضتي الصغيرة ، فإن عليك الذهاب للفراش ، إني أكره اصطحاب سيدة إلى مطعم ثم تنام على الطاولة . بدا الحديث وكأنه أقفل . قرر "فستوس" عدم الإلحاح .

كانت الشابة تود لو دخلت في بعض أحاديث أخرى ولكن طبيبها عارض بحزم .

- لا مجال لذلك . هذه الرحلة متعبة جدا بالنسبة لك . اذهبي للنوم وسوف تبحثين موضوع ملابسك هذا فيما بعد . لم يستطع إلا أن يتمالك نفسه من الابتسام وهو ينظر إليها .

كان قلبها يخفق بينما هو يساعدها على النهوض ، ثم قبلها بحنان وقال :

- نامي جيدا .

-أوصل العجوز "إستير" إلى غرفته . لقد توجه إلى "دان" بكلمات قاسية ولكنها كانت مدركة عفويا بأن معه حقا . مثله مثل "آدي ماركام" ، كان "فستوس چوردان" يعتقد أن الصراحة مطلوبة مع الذين نحبهم بعمق .

- إنك تقدمين له الخير ، لم يخبرني أبدا بما حدث بالضبط في تلك الليلة ، إلا أنني قد أعطيته كثيرا من الأعذار اليوم ، للمرة الأولى ، تحدث في هذا إني أشكرك يا "إستير" .

www.elromancia.com

الفصل السادس

استيقظت "إستير" لتجد نفسها في مكان مجهول بالنسبة لها . كانت الجدران مكسوة بالزرقة ، الستائر كانت ثقيلة وسميكة. كانت تشعر بالطيش لنومها هكذا بعمق وامضت بعض ثوان في تذكر موعدها مع "دان" . لم يتبق لها سوى قليل من الوقت لتفكر في مظهرها .

ما إن خرجت حتى لمحت العلب الموضوعة على المقعد الطويل والمذكرة الصغيرة الموضوعة فوقه . بينما كنت نائمة استمتعت بفترة بعد الظهر . أحضر لنا "فستوس" تذاكر لحضور "كوميديا" موسيقية في مركز "كينيدي" ووجودك سوف يمنعني من أن انسحب خفية في منتصف العرض أو من أن أنام . اهبطي عندما تكونين مستعدة .

- أحبك يا "دان" كان "سيث" يعشق شراء الأشياء الغالية أو المكلفة للسيدة الشابة . أبدا لم تاته فكرة إهدائها السترة ذات اللون الكريمي أو هذا الفستان الرائع من الستان الأزرق الذي اختاره "دان" .

كان الثوب ذا خصر ساقط وياقة عريضة تنسدل حتى الكتفين .

- كان الثوب ينسدل على "إستير" بلطف وهو يبرز شكلها الرقيق . كان القماش يحدث خشخشة عند كل خطوة تخطوها .

خرجت الشابة من غرفتها وهي سعيدة بإحساسها بانها جميلة بعد ان اخذت حماما وتعطرت وصففت شعرها وعقصته إلى فوق. بدا "دان" وكانه سمعها لأنها اقتربت من الوصول إلى السلم حتى خرج من المكتبة ليشاهدها . هو ايضا قام بتغيير ملابسه وارتدى "سموكنج" .

كان بلا شك أكثر رجل وسامة رأته من قبل . النظرة المتحمسة في عين الطبيب أصبحت متملكة وهو يشاهدها . وللغرابة تقبلت "إستير" هذا واعية بانه هو الآخر لا يرغب إلا أن يكون أسيرا . فهمت "إستير" أن المفتاح لكل شيء ، هو الحب .

كانت الليلة ساحرة . تناولا العشاء في مطعم أنيق ورقصا بنشوة . لا شيء سوى الصمت ، لا شيء سوى النظرات ! مشيا في شوارع "واشنطن" متشابكي الأيدي . وفي التاكسي ، تعانقا بشغف إلى جانب انها لم تكن تتذكر شيئا من "الكوميديا" الموسيقية .

ملأ قلبها شعور بالسلام لأنها تنتمي لـ"دان" . كل دقيقة كل نظرة ، كل كلمة كانت تزيد هذا الشعور . كم كان هذا بسيطا نابضا بالحياة ومعقدا في نفس الوقت كان هناك الاحترام ، الإعجاب والتعلق .

كانت "إستير" واثقة بذلك عندما استدارت نحو "دان" أمام باب غرفتها .

بادرته : أود لو أستطيع أن اضمن لك أن كل شيء بيننا سوف يكون كاملا هكذا- بادرته - ولكن هذا مستحيل .

- لماذا ؟

- لأني أحبك . أود قضاء كل ثانية بقربك لأسعدك ولأبين لك ما أشعر به . ليكن هذا لليلة واحدة أو للأبد .

جذبها "دان" نحوه . كانت تسمع قلبه يخفق ، تلاحقت أنفاسه وانتابته رعشة .

تساءل "دان" :

- هل كان من الصعب الاعتراف ؟

- لا ، ولكن ببساطة لم أكن أعرف كيف يكون الحب . لم أمر بالتجربة أبدا .

- لا تصدقي ذلك يا "إستير" . إنك تضجين حبا . موسيقاك مذكراتك ،

www.elromancia.com

عيناك تخبرانك به. إنه الحب الذي منعك من الشعور بالمرارة ومن الانتقام . إنه حب الآخرين الذي لم تستطيعي تقبله.

لقد جرحت كثيرا . الهذا تحمين نفسك ولا تنتظرين شيئا من الآخرين؟

ظلت "إستير" سابحة في أفكارها . كان هذا أقرب ما يكون للحقيقة !

- الجميع يخطئون يا غاليتي .

هل كان الصوت المنخفض أم هي فقط الجملة هي التي جعلتها تنظر بتركيز للرجل الذي تحبه ؟

في البداية ، كان يثير فضولها ، ولكن الآن هي تنظر إليه من خلال حبها له .

- "دان" كان يمتلك الظرف والعطف ، كان ذكيا ، حنونا وحساسا بكلمة واحدة - كان جديرا بالثقة . إلا أنها كانت تشعر بحيرة واضحة في طريقة تعبيره عن نفسه .

- لا أقدم لك ضمانات على الإطلاق . لا أستطيع أن أعدك بألا أجرحك أبدا . لا أستطيع التكهن بما قد يحمله الغد ، ولكن أحبك . أريد أن أمضي عمري إلى جانبك ، ومشاركتك في كل ثانية واجعلك سعيدة لأن لحظات أيامك لها مذاق وشكل آخر .

كانت تعبيراته الهائمة تحرك فيها إحساسا عميقا . لم تشعر "إستير" أنها مرغوبة ولا قريبة إلى هذه الدرجة من قبل .

فجأة ، دفع بها داخل الغرفة ، أضاء مصابيح الفراش وأغلق الباب وراءه .

- الكلمات لا تسعفني . إنها دائما عاجزة عن احتواء الحب المفعم بالصدق أو ضعيفة للغاية لأن أشرح لك إلى أي درجة يغمرني وجودك . أصبح كل شيء بين يديك . إني بحاجة لأن أمتلكك ، أن أحميك أن أسهر عليك إنني أحبك يا "إستير" .

- إن عاطفة "دان" كانت كالموج الهائج عندما يقذف بالغريق دون حراك ، ولم تكن تدرك حدود رغبتها أو كيف تخط عالمها ؟

رفع "دان" وجهها نحوه . فتحت "إستير" عينيها لتلتقي بنظرته والتي رأت فيها القناعة في أن تنتمي إليه بصورة نهائية .

حاول "دان" التحرك بعيدا عنها ولكنها التصقت به .

- لا تتركني . ليس بعد .

- لن أتركك أبدا "إستير" حتى وإن أردت ذلك . إنك تمثلين جزءا مني .

ابتسم لها بحب .

- إن هذا لصحيح . لا تفكر في تركي ، سوف أجدك حيثما تذهب وأجبرك على الرجوع . حتى الآن ، لم ألحظ نقاط ضعفك ولكني عندي النية لأن أتغاضى عنها .

- قرب رأسه من رقبتها وهمس في أذنها .

- سوف أجعلك أسيرة حبي ، حتى إذا ما رحلت يوما لن يكون علي سوى أن أتمتم حتى تعودي إليّ .

- والآن بالنسبة لرجل هادئ ومتحفظ ، تبدو لي فظا جدا .

- إن خالي "فستوس" يقول : إنه يجب التفريق بين الجراح الفظ والجراح الواثق بنفسه . وأنا أنادي بنفس التفرقة .

مازحته وهي تشعر بالحاجة لأن تحب ما تولد فيها من جديد .

- وماذا يحدث لو احتفظت بضعفي لنفسي .

- لا تحاولي . أنا لم أدرس الطب لا لشيء .

كانت الشابة متقبلة لحبه واحترامه لها .

في المقابل كانت تحبه من أعماقها . استمر فرحهما طوال الليل. عند شروق الشمس ، وتحت تأثير التعب كانا نائمين .

استيقظت "إستير" متأخرة عند الظهيرة . كان "دان" قد استيقظ ولكن غيابه لم يؤثر في حالتها النفسية الجيدة . كانت لا زالت تشعر به إلى جانبها مستنشقة رائحة عطره على الوسادة . كلمات الغرام التي همس بها إليها بحنان لاتزال ترن في أذنها . ارتدت الشابة ملابسها سريعا . فليفكر "فستوس" فيما يحلو له . لم تستطع أن تغير شيئا في نظرته ولا كبت ابتسامته البهية .

كان شيئا لطيفا الالتقاء بـ"دان" وخاله . من أعلى السلم ، سمعت الصوت الغاضب للرجل العجوز خارجا من المكتبة .

- سوف يرحل "سوليفان" خلال شهرين . إنها فرصة لكي تعود لما قد تركته . إنك تضيع وقتك بدون الكلام عن موهبتك في هذه المدينة

www.elromancia.com

الصغيرة البائسة . إننا بحاجة إليك هنا يا "دان" .

مرت لحظة صمت - ثم عاد "فستوس" أكثر هدوءا :

- لو أنك متخوف من الإدارة - فقد توصلت لتوي إلى فكرة و...

- إذن هو أنت المسؤول عن كل هذه الفوضى !

- هل ذهبت إلى هناك بالأمس ؟

- لقد تم إبلاغي وبسبب ظني بأني قد أكون متورطا في قضية أو شيء من هذا القبيل فقد أخذت حذري . لو كنت علمت أن ذلك بسببك لكنت وفرت على نفسي .

- ماذا حدث ؟ ماذا قالوا ؟

- لا شيء

- وبماذا أجبت ؟

مرت لحظة قبل أن ينطق بالإجابة . ثم بصوت هادئ وحازم نقل "دان" الحديث :

- كانوا يريدون معرفة أين كنت وما مشروعاتي المستقبلية ؟ وقد أجبت بأني سوف أتزوج السيدة الأكثر روعة إذا أرادت هي وبأننا سوف نرزق بالعديد من الأطفال ونعيش سعداء طوال الحياة.

- ومركز رئيس قسم الجراحة ؟

- سوف أفكر به ، ولكن لا تضع آمالا كبيرة على ذلك .

- الغريب أنك لم تقرر أبدا منذ ثلاث سنوات . بدا "فستوس" في غاية التفاؤل .

- من فضلك يا "فستوس" . لا تتدخل في ذلك . إنها حياتي أنا و"إستير" سوف نقررها معا .

ظلت الشابة واقفة على أعلى السلم تستمع غير عابئة بصحة ما تفعله . إن سماع الخطط المستقبلية لـ"دان" ليخدرها ولكن كانت تفضل لو تحدث في موضوع الزواج والأطفال معها أولا قبل أن يطرحه مع "فستوس" . فعلا هو معجب بنفسه بطبيعة الحال لم تكن رغبات الشابة تتعارض مع رغباته إلا أنها لم تكن تفضل أن يكون لها دخل في قراره بما يخص مهنته .

لماذا يعقد كل هذه الأهمية على ما قد تفكر به ، هي التي كانت غير

قادرة على التأثير في حياته . بماذا تنصح "دان" ؟ كيف يمكنها مساعدته ؟ كانت "إستير" متفهمة لخوفه ، لشعوره بالقصور ، لتردده ، ولكن هذا لا يكفي . لكي تعطيهم بعض الوقت لإنهاء النقاش - نادت :

- "دان" ؟ "فستوس" ؟

وافاها "دان" في الحال . من رؤيته لم يكن يساورها شك في جدية الحديث الذي قطعته . كان مبتسما وعيناه تلمعان تشرقان من السعادة، أخذا يتاملان بعضهما بعضا .

قال أخيرا :

- صباح الخير !

- صباح الخير ، هل نمت جيدا ؟

- أفضل من أي وقت .

- إن "جورجيا" قد أعدت فطورك . سوف نرحل ما إن تنتهي .

- لا أشعر بالجوع .

- إن الشهية تاتي عندما نبدأ في الأكل . أريد امرأة بصحة جيدة .

- - أمرك ، يا مولاي وسيدي .

تناول "فستوس" و"دان" القهوة بينما كانت "إستير" تاكل . جرى الحديث بشكل عادي كانا يتحاشيان بدقة أي إشارة إلى الطب .

تساءل "دان" بينما كان يعبر ضاحية "واشنطن" :

- هل لاحظت كم تكرر لفظ "الدين القومي" أثناء الحديث ؟

- أنا عددت أربع مرات ولكني سهوت قليلا .

- إن قدمك هي الأخرى قد ضاعت في ساق سروالي .

- أحقا ؟ ألهذا تمشي غير مستريح ؟

نظر لها "دان" مغتاظا ثم ما لبث أن غرق في الضحك .

- كنت تستحق هذه الركلة . كل هذا الكلام الأحمق عن الخادمات اللواتي يعملن بدون عقود عمل وفتيات بيت الحريم آثار غيظي .

مرت الساعات ، تجاذبا الحديث كما لو كانا يعرفان بعضهما البعض منذ زمن بعيد . عند منتصف النهار ، توقفا عند دكان بقالة في قرية صغيرة تابعة لـ"ميريلاند" واشتريا ما ياكلانه .

تمونت "إستير" من الحلوى . قبلها "دان" على صدغها ثم حاول

www.elromancia.com

تنكيدها :

- هل انت ضعيفة أمام السكريات ؟

- حتى إلى درجة الشراهة . إني أعشق الشوكولاتة .

- هذا صحيح . أتذكر أنك ذكرت ذلك في مذكراتك .

- فلننطلق بسرعة .

أحست السيدة الشابة إحساسا غريبا لفكرة أن "دان" يعرف الكثير عن طفولتها . كانا على وشك الخروج عندما أوقفها الطبيب.

- اسمعي .

في مكان ما في آخر المتجر ، كان هناك مذياع يبث صوتا تعرف عليه في الحال :

أنت بين ذراعي تحت ظلال البدر الحزين جمالك الفتان .

تحت السماء المزينة بالنجوم .

- يا إلهي ، صاحت "إستير" ضاحكة . أمسك بها بجانب السيارة "البرونكو" .

- "إستير" ، يا عزيزتي ، آنا آسف . لم أرد أن أتسبب لك في ألم. لم أفكر حتى في أنه من الممكن أن تضطر بي لسماع "سيث" يغني .

- هذا ليس بسبب "سيث" . هذه الأغنية كانت إحدى الأوائل . إنها مجموعة من الذكريات تحركت بداخلي :

- هل تستطيعين إخباري بهذه المرحلة من حياتك ؟

- من أين أبدأ ؟

- من البداية . أعلم أن والدتك كانت تعمل عند "أدي" . هل قابلت "ادجار بل دون" هناك ؟

عبرا الطريق ، وهما يعدان الشطائر ، قصت "إستير" ما تعرفه .

- نعم ، كان "ادجار بل دون" زبونا عندها وكان قد طلب خدمة متميزة مما لم يدع مجالا للشك حول موضوع الأبوة .

أمي ، فتاة صغيرة ساذجة تربت في تلال "فيرجينيا" الغربية ، ذهبت للبحث عن والدي عند اكتشافها للحمل . الزوجة الشرعية لـ"بل دون" كانت حاملا بدورها .

قدم له عرضا بالعمل في المحاجر ومنزلا مقابل سكوت أمي . لهذا

قدرت له أمي الجميل .

لك أن تتخيل أي سنة رهيبة قضاها "ادجار" المسكين .

محاولا إسعاد سيدتين حاملتين والتي تحيا كل واحدة منهما في طرف من المدينة ...

كان "دان" يستمع بانتباه . والدة "إستير" ربتها بدون اهتمام . أدت واجبها نحوها بدون اهتمام . هناك قواعد تلزم الفتيات الصغيرات اتباعها . لكن ما كان عليها أن تعرفه كانت تستقيه من "أدي" .

- أتعلم ، أمسكت بي في يوم وأنا أحاول سرقة قالب شوكولاتة. فأجبرتني على الرجوع إلى المتجر لأعتذر . بعدها دعتني إلى شراب الموز وجعلتني أعدها بعدم تكرار ذلك . إن كتفها هي التي بكيت عليها بعد ما حاول "تومي" خطفي . "أدي" هي الوحيدة التي قمت بتوديعها قبل هروبي . مازلت لا أستطيع فهم كيف وجدت الشجاعة لأخذ النقود من "جلوريا بل دون" والرحيل . يجب أن تكوني قد شعرت بالفزع .

- كنت على الأكثر ثائرة . كل هذا كان بعيدا للغاية ... الآن "إستير" أصبحت منفصلة عن ذلك بالكامل . لماذا رجعت إذن ؟ عن ماذا تبحث ؟

- لو لم أرحل لكانت "جلوريا بل دون" قد فتكت بأمي أو بمعنى أدق بما قد تبقى منها بعد موت "ادجار" لأنها كما تعلم كانت تحبه.

- وقد أحبتك أنت أيضا . قالت لي ذلك .

- تساءلت "إستير" وهي تشعر بأن صوتها مخنوق :

- متى ؟

- بعد الظهيرة ، يوم موتها . في ذلك اليوم كانت صافية الذهن أكثر من عادتها . تحدثت والدتك عن عائلتها ، عن والدك ، ثم قالت :

- إن ابنتي "إستير" لفتاة رائعة . إني فخور بها لم أفعل شيئا سوى أني أحضرتها إلى الدنيا .

هي لا تستحق هذه التعاسة التي ألحقتها بها . أتمنى لو يتاح لي الوقت لأن أطلب عفوها .

كانت عينا "إستير" غارقتين في الدموع . إن رسالة والدتها قد داوت جرحا طالما ظل مفتوحا .

- كان لابد أن تعرف أنها كانت تدنو من النهاية .

www.elromancia.com

- إنها حالة غالبية المحتضرين .

ظلا صامتين برهة . كانت السماء ملبدة بالغيوم بعكس الليلة السابقة . كانت "إستير" حتى تلك اللحظة لم تلحظ مرور الوقت .

- لقد نسيت وحدة ماضيها بسبب حبها لـ"دان" . كانت تتجاهل المشكلات التي يجب أن يتوصلا معا لحل لها قبل أن يبدأ في حياة بلا غيوم .

- أكملي . أخبريني بما حدث بعد ذلك - كيف قابلت "سيث" ؟

رحلته حتى "چونسون سيتي" في ولاية تيناسي ظلت مختلطة في ذاكرتها . هنا قابلت "سيث توبان" الذي كان يغني بصحبة الجيتار . كانت حقيبتها قد سرقت منها ومعها قدر من المال المقدم من قبل "جلوريا بل دون" .

أشفق الرجل عليها . أطعمها واصطحبها عند صديقه كي تتمكن من النوم . على سبيل الشكر : كتبت له "إستير" أغنية .

- المتبقي من القصة معروف .

- هيا إذن ! صاح "دان" . لم يكن هذا سهلا بالتأكيد . فتاة صغيرة ومغن مغمور ؟ ماذا كنتما تفعلان لتعيشا ؟

- على قدر استطاعتنا ! استمررت في الكذب بشأن عمري مدة عامين . "سيث" سلك طريقه من خلال ناد خاص في "ناش" قبل حيث التقى بـ"ماكس" ، متعهدنا . لم يكن عضوا في النادي وكان جائعا أكثر منا ولكنه اكتشف على الفور موهبة "سيث" . لقد اقتنص عقودا . خلال أوقات الفراغ ، كنت القن "سيث" أغاني .

- وعندما ساعدتنا الإمكانيات ، قمت باخذ دروس في الموسيقى كي أتمكن من كتابة الحاني وتنسيق الفرقة الموسيقية بمفردي . صمتت "إستير" ثم عاودت :

- كانت السنوات الأولى أكثر صعوبة بالنسبة له أكثر منها بالنسبة لي . كنت صغيرة للغاية ... كان يكبرني بثمانية أعوام ويشعر بأنه راشد ومسؤول . لعب "سيث" دور الأخ والأب والصديق في ذات الوقت ، تخيل أنه جعلني أجتاز امتحان شهادة الثانوية .

- متى تزوجت "سيث" ؟

- عند إصدارنا لمجموعتنا الأولى كل شيء كان سريعا هكذا...

عقد "دان" حاجبيه : هذا الزواج لا يتصف بالرومانسية أبدا على عكس ما تكتبه الجرائد .

- كان لي إنتاج غزير جدا خلال هذه السنوات . الأغاني القديمة كانت طفولية للغاية ومرتبطة جدا بـ"بل وود" .

تساءل "دان" باهتمام :

- هل نظمت شيئا في الآونة الأخيرة ؟

نظرت له "إستير" بدهشة بضع لحظات قبل أن تجيب ، كما لو كان الأمر غير ذي أهمية :

- لا . لا . لا شيء على الإطلاق .

www.elromancia.com

الفصل السابع

اكتشفت "إستير" سريعا أن اهتمام "دان" بموسيقاها كان أكثر من مجرد فضول .

- إن الجو بارد هنا ! صاح وهو يفتح المنزل . بينما تقومين بتدفئة المكان ، اقوم انا بإدخال باقي اغراضنا . لم ينتظر الإجابة . كانت الشابة تستطيع الجزم بانه لم يعد هناك شيء في السيارة . غير انه دائما ما يكون مهتما بان يقوم بالتدفئة بنفسه . توجهت صوب حجرة الاستقبال حيث يوجد مثبت الحرارة واكتشفت أمام اللوح الزجاجي وجود "بيانو" .

مد ذراعه حول خصرها وجذبها نحوه .

- لقد حجزته من عند "وست فيلد" وقمت بتسلمه بالأمس .

همس وقال :

- هل يعجبك ؟

لم تجد "إستير" كلمات لشكره . أن لفتته هذه كانت كريمة ومؤثرة إلا انه كان سيئا . كان "دان" يتوقع بالتاكيد رؤيتها ترتمي على الآلة لتعزف، بينما بالنسبة لها فإن رؤية ذلك "البيانو" كانت مؤلمة .

- اتمنى أن يكون له وقع جيد . إنك بالتاكيد معتادة أنواع أفضل - قال شارحا لشعوره بالقلق فجاة من صمتها الممتد ولكني ظننت اننا لن نستطيع إدخال "بيانو" اكبر حجما من ذلك هنا - وكيف السبيل لإخباره . بياس حاولت "إستير" إيجاد الكلمات ، فجاة تركها وعاد حاملا صندوقا له شكل مالوف مليء باوراق موسيقية. - في نفس الوقت ، أخذت هذا .

استدارت الشابة نحوه - ولاحظ هو التغيير الذي ارتسم على وجهها .

- لم تكن تلك بالفكرة الجيدة ، أليس كذلك ؟

- بلى ، صححت نفسها . إنها لرائعة . فقط لا أجد الكلمات للتعبير لك عن شكري .

- لا تقولي شيئا . عانقيني ودعي يديك تجريان على أصابع البيانو . بكل إخلاص شكرته في صورة عناق ولكن أجلت الفكرة لوقت آخر . قالت :

- لست قادرة على العمل في وجودك .

- أنت تعلم ، أن عندي مزاج الفنان وأنت مله للغاية .

- أوه ! لو أخذت في الحركة من حولي ، سوف اسمعك ولن أتمكن أبدا من التركيز .

- سوف أقوم بتمارين "يوجا" اقترح ، بينما تعملين ، سوف أقوم بالتامل .

- إن همسك سوف يضايقني ..

- سوف أقوم بالهمس في سري . وعدها . بالنسبة لها فإن الموضوع كان منتهيا . كان بالفعل ملهيا للغاية .

كان "دان" يشعر بنفسه منتصرا على كافة الأصعدة . بدت له "إستير" المراة الأكثر حساسية على الإطلاق . في ذلك المساء تناولا عشاءهما في "بل وود" في المطعم الصغير الذي اصطحبت "آدي" إليه "إستير" للاحتفال بعامها السادس عشر .

اختلف الديكور بعض الشيء .

- أهدتها السيدة العجوز فرشاة الشعر كهدية عيد الميلاد . غادرت

www.elromancia.com

الفتاة الصغيرة المدينة بعد بضعة أشهر من ذلك التاريخ إن سلوك المارة كان مختلفا للغاية .

- كان الناس يتوقفون لتحيتها وكانوا يعاملون "دان" نفس المعاملة بتهذيب واحترام كانوا فقط فضوليين . لماذا هذا الإحساس بالترقب ؟

تساءلت :

- الفتاة الصغيرة ذات الأعوام الأربعة عشر المدفونة بداخلها لم تكن تريد سوى الظهور ثانية وهي مستعدة للمقاومة من أجل الدفاع عن نفسها وعن أمها .

عندما سألها "دان" : فيم تفكر ؟- انفجرت "إستير" في الضحك ثم توقفت عندما رأت تأثير تصرفها الغريب في عيني "دان" .

- هناك أشياء لا تتغير أبدا "إستير" . هناك دائما نساء يمارسن ذلك العمل للحصول على ما يردن أو تدفعهن الضرورة . هناك دائما رجال غير شرفاء . ولكن أنت لقد تغيرت - و"بل وود" أيضا لو كنت قد ولدت متأخرا عشرة أو خمسة عشر عاما لكانت حياتك بالتأكيد قد اختلفت .

ظلت "إستير" لحظة تفكر . لو أن حياتها كانت بنفس السهولة التي كانت عليها حياة "چيول" ، ما نوع الموسيقى التي كان يمكن أن تنظمها إن أغنياتها كانت تعبيرا عن أحاسيسها هل كان من الممكن أن تكون تزوجته وأصبحت أما لنصف دستة من الأطفال .

أكمل "دان" - كما لو كان يقرأ أفكارها :

- هناك إيقاع في الحياة وحكمة لكل شيء لا نستطيع اكتشافها قبل أن نكافح .

أنزلها الطبيب أمام المنزل وذهب لعمل جولة سريعة لرؤية مرضاه . "إستير" كانت وحدها من جديد مع نفسها . بعيدا عن "دان" فإن الشك والقلق ينخران في عقلها ، بقصد العثور على إجابة حتى ولو بسيطة أعادت قراءة مذكراتها :

- إن "چانيزو" المؤقر يقول أن الله قد خلق كل شيء .

- إذن أنا أيضا من خلقه ولم يكن ليمنحني القدرة على نظم موسيقى بهذا الجمال لو لم أكن ذات معدن جيد . لا أعتقد في أن خطأ أمي سوف يجر اللعنة عليّ . أنا شخص منفصل عن كل هذا، في يوم من الأيام ،

سوف اترك "بل وود" وساصبح غنية سوف تلحق بي أمي وسنعيش في منزل جميل من الممكن عندما ترى ثروتي وشهرتي أن تفتخربي . لقد تشاجرت مع "چيول" اليوم.

- لقد نزفت من أنفها ، هذه الحشرة تزعم أني سوف أكون مثل والدتي ، إنها أكذوبة وقد طلبت منها أن تسحبها . ولكن على العكس مما طلبته فقد كررتها . حبستني والدتي في غرفتي . إني أتضور جوعا ولكن هذا لا يهم ، لا أعتقد بان "چيول" سوف تعاود. سيكون العالم تحت قدمي . سوف يأتون لمقابلتي . ساجد من أحبه . سوف أشكر السماء على ذلك . ساحقق كل ذلك ، نعم ، كل ذلك .

بيتي سيكون على الشاطئ سيكون من الصعب الوصول إليّ .

- لن أكون وحيدة أبدا ، لن تكون هناك غيوم .

- ساكون شيئا خاصا دائما .

- ساحقق كل ذلك ، نعم ، كل ذلك .

- ساستطيع أن أضحك .

- وأسمعهم يقولون .

نحن لا نستطيع الوصول إلى الحظ .

- يال عقل هذه الفتاة !!

- ساحقق كل ذلك ، نعم ، كل ذلك .

"بل دون" العجوز قد تنبه لما حدث . يريد أن يعرف ماذا يفعل للتغاضي عن فعلة "تومي" .

- لا أحب القيل والقال ولكني كلمته عن تلك المدرسة للموسيقى "بشارلستون" . وهو يخاف مما قد يقوله الناس .

- لا تعنيني الأقاويل على الإطلاق ولكن بالنسبة له .

- نعم .

- هو شخص مهم بدرجة كبيرة !

- فسوف يجرحه هذا بشدة كما بالنسبة إلى عائلته وأمي .

- لقد أجبته بانه إذا لم يكن باستطاعته إلحاقي بتلك المدرسة فإنه لن يستطيع أن يفعل شيئا لنادية دوره كاب .

- من ناحيتي ، لا أجد ما هو أهم من ذلك الأمر .

www.elromancia.com

هناك أشياء كثيرة أود القيام بها ! إن العالم لواسع ، وسارغب في مشاهدة كل شيء أريد أن أقع في الحب مثلما في الروايات التي تقرؤها "أدي" وأن أرزق بحفنة من الأطفال مثل مدام "فيشر" ولكي يعرفوا أني أحبهم سوف أقوم بتقبيلهم وملاطفتهم . سوف تصبح أحلامي حقيقة . هناك شيء ما يخبرني بأني ساصل لما أريد .

أصيب والدي بنوبة لقد مات . لا أستيطع القول : إني سوف افتقده ، ولكن أمي منهارة . هي تقول إنها غلطتي وانه كان بإمكاني التسامح في رأيي ، فإنه ببساطة كان يشرب بشراهة .

شعرت "إستير" بالحسد تجاه فتاة المذكرات . إن بعضا من صفاتها هي الآن تعد عيبا . هل كان ذلك هو التفاؤل . أم الثبات أم القوة أم الرغبة في الوصول ؟

كان من الصعب التحديد .

أحبت السيدة الشابة فكرة أن فضائلها لم تختف تماما .

- بالتأكيد لم يعد لديها هذا الجانب الحاد . إن الرجوع للحياة التي كانت تعيشها قبل الحادث ليقلقها . الموسيقى المولودة داخل قلبها ، لم تعد موجودة ، كانت تنظمها بشعور من المرارة .

بدأ الوقت يتأخر . لم يكن من عادة "دان" أن يتأخر . كانت "إستير" تواقة للإحساس بالأمان بين ذراعيه ولسماع قلبه يخفق . بالتأكيد ، كان عليها أن تأوي إلى فراشها متعبة بعد هذه الرحلة ، ولكن ذهنها ظل متنبها ويجهدها بالأسئلة . في النهاية كان كل شيء قد اختلط عليها .

كانت تجول في المنزل بلا هدف وسريعا ، وجدت نفسها في مكتب "دان" . كانا قد شاهدا به بعض تسجيلات الفيديو لعلها تجد شريطا تسجيليا بين المجموعة لتسليتها .

استعرضت "إستير" الأفلام والوثائق حتى وقعت على شريط ملصق عليه بطاقة مكتوب عليها "إستير" فشعرت بطبيعة الحال بانها تريد مشاهدته .

- كان برنامجا قديما يرجع تاريخه إلى ثلاث أو أربع سنوات . كان "سيث" هو ضيف الشرف وكان يغني آخر أعماله . ابتسمت الشابة للممازحات المتبادلة بين زوجها والمقدم والذي عبر السنوات أصبح

واحدا من أصدقائهما تبع البرنامج شريط مصور سريع لـ"سيث" وهو يغني لحنا حزينا بينما يمشي في شوارع "شيكاغو" الخالية في الصباح الباكر بينما "إستير" حامل ، تعمل في "الأوركسترا" ماخوذة بما تراه ، فقد كادت تتنبه لوصول "دان" الذي لاحظها تشاهد نفسها على الشاشة . عبر الغرفة بهدوء ليجلس بجانبها .

مرر ذراعه حول كتفيها ليشعرها بالأمان ومكثا يشاهدان معا باقي الشريط : تسجيلات الأسطوانات شريطا سريعا عند منحهما جائزة الأوسكار ...

منذ ثلاث سنوات قبل ذلك حصل "سيث" للمرة الثانية على لقب أحسن صوت رجالي ، وحصلت أغنيتهما معا في آخر أعمالهما على لقب أغنية العام . كانت الكاميرا قد صورتهم الثلاثة معا ، "دوني" لم يكن يبلغ من العمر في ذاك الوقت سوى ستة أشهر .

شعر "دان" بالشابة تضعف عند سماعها للأغنية الأخيرة معا ، سوف نقبل ما تعطينا إياه الحياة .

نسمات رقيقة وربيع مشرق .

معا سوف نقاوم الريح والأمواج . لأن حبنا يحمينا . كانت الصور تنساب : "إستير" وولدها يلهوان على الشاطئ ، يجريان وسط الأمواج ضاحكين .

"سيث" تبعهما بينما تتتابع المقاطع :

- أنت ، أنا ، وثمرة حبنا مباركين من السماء .

سوف نعزه ، ونعلمه ، يالها من روعة .

قبل نهاية الفيديو" ، كانت عينا "إستير" قد دمعتا بالفعل حثها "دان" على التوقف عن ذلك وجذبها نحوه .

- أنا أسف ، قال تاركا إياها تبكي على كتفه . إن "سيث" يبدو أنه قد أوحشك .

- نعم ، إني افتقده بشدة .

لقد كان أعز صديق لي ولكن حياته تشكلت كما كان يريد . كان يقول دائما : إنه لو مات في اليوم التالي ، فإنه سيموت سعيدا لأن الحياة لا تستطيع أن تمنحه ما هو أكثر من ذلك - . مسحت الشابة عينيها

www.elromancia.com

وتنفست بعمق وأكملت :

لقد كانت تلك هي المرة الأولى منذ الحادثة التي تتكلم فيها عن أمها .

- بطريقة ما ، هذا يسهل القبول بموت "سيث" فهكذا لن يكون عليه أن يحيا حتى يشيخ ويرى نجمه يأفل .

شعر "دان" بالراحة وهو يستمع لها ، فكرة أن موت زوج "إستير" يظل جرحا مفتوحا يمنعها من أن تتزوج رجلا آخر كانت تؤرقه بشكل أناني كانت كلمات الشابة تطمئنه .

- "دوني" ... تابعت وهي تبكي من جديد . أوه ! يا صغيري "دوني" كان جميلا للغاية ، سعيدا للغاية ... إني أفتقده بشدة ...

معذبة بألمها ، تكورت بين ذراعي "دان" باحثة عن قوة ومواساة .

- أخيرا ، كفكفت دموعها وتابعت قصتها بصوت أحادي النبرة.

- كنا نذهب للعشاء عند "منتجنا" كان يسكن على التلال أخذت سيارتي لحمل المشتريات قبل ذهابي إلى هناك . ولكي أستطيع بذلك أن أصحب "دوني" للمنزل مبكرا .

لا أدري ما حدث . فقد "سيث" السيطرة على سيارته ومروا فوق الردم الذي كان على الطريق . حادثة غبية .

لم يكن لدى طفلي المسكين أي فرصة للنجاة . استعادت "إستير" تلك الساعات كما لو كانت تحتضر . كان "دان" واثقا بأنها تشعر بالضياع .

- لم يكن يستطيع مواساة الشابة بالكلمات وهو الذي طالما فعل ذلك مع الآخرين . كل ما كان يستطيع عمله هو أن يهبها وجوده والبقاء حتى تستعيد قواها . كانت "إستير" متجمدة ومرتجفة . بحث الطبيب عن شيء لتشربه . تلوى وجهها وعطست. نظرت له الشابة كما لو كانت تتحقق لأول مرة من وجوده .

- أنا أسفة ، وقالت بحسرة : إن التفكير في هذا الأمر ليؤلم دائما .

تمتم "دان" وقال : أعلم يا حبيبتي .

- حمل "دان" السيدة إلى غرفتها .

قال :

- أود لو أستطيع مساعدتك .

- ولكنك تساعدني !

بدأت الشمس في الطلوع فوق الجبال عندما قامت "إستير" نصف مستيقظة واقتربت من مصدر سعادتها وشعرت بذراعي "دان" مطبقة عليها لحمايتها .

- تركزت في عقلها صورة الرجل ذي الشعر الأسود صاحب العيون العميقة التي لا سبيل للوصول لآخر عمق بها .

همس "دان" وقال :

- كيف الحال ؟

ذهب الصوت بحلمها واستيقظت بشكل نهائي . ذكريات الليلة الماضية عاودتها مجتمعة ولكنها رفضت التخلي عن اللحظة السعيدة التي تعيشها الآن .

تساءلت "إستير" :

- أين وجدت ذلك الشريط ؟

أجاب "دان" :

- لقد قمت بتسجيله بنفسي . عندي أيضا كل المجموعة .

- لماذا ؟

أخذ "دان" نفسا عميقا ليتشجع .

- سوف تظنين اني مجنون . كنت مغرما بك بلا أمل لسنوات لا ، قال مبقيا إياها جانبه :

- لا تبتعدي عني . إنه ليس كما تظنين .

- إني دهشة فقط ، تعللت "إستير" عندما التقينا ، كان على العكس عندي الانطباع بأنك لا تحبني كثيرا . كانت تثق به .

- وقد قام بالفعل بتقديم دلائل على ذلك بإنقاذه إياها والاحتفاظ بمذكراتها لنفسه . الإحاسيس التي كان يحملها لها كانت مخلصة ولم يكن لذلك علاقة لا بشهرتها ولا بثروتها . كانت تشعر بذلك بغريزتها .

- شيء من التكتم ، قال شارحا :

- لم أكن أريد أن ألقي بنفسي عند قدميك كأي معجب . كان يجب منحك الوقت لتعرفيني كما أعرفك أنا .

- إني أعرفك أفضل من أي أحد - أتعلمين وأحبك كما أنت ، إنك جميلة ، إني أريدك لدرجة عدم القدرة على التفكير في شيء آخر ولكن

www.elromancia.com

ما أحبه بك هو شخصيتك ، أنا معجب بذكائك واصرارك . أعشق خفة ظلك و أدبك وقدرتك على العفو وعلى أن تكوني متفائلة إنك لمذهلة عندي شعور باني أعرفك منذ زمن وباني أريد العيش معك - إنني في حاجة إليك يا "إستير" .

قالت مؤكدة :

- وأنا أحتاج إليك .

- أعلم يا حبي . سوف نحظى بحياة رائعة وسنرزق بأطفال... سوف نكبر سويا .

- "دان" قاطعته : لست متأكدة من أني أرغب في أطفال آخرين - بيد مشجعة داعبها دون التوقف عن الابتسام . سوف يكون هناك أطفال آخرون ، لم يكن يساوره أدنى شك في ذلك .

- كما تشائين يا عزيزتي يكفيني أنت لسعادتي . ولإكمال خططنا المستقبلية ، عندما يبيض شعر كلينا سوف نشتري مقاعد هزازة . ما قولك ؟

- غرقت "إستير" في الضحك .

- لم أحلم قط بان أعايش لحظات بهذه الروعة - أسر لها في وقت لاحق .

قالت :

- كان ذلك رائعا -

- أحبك . يا "إستير" .

وفي وضوح النهار لمحت صدق كلامه .

- أنا أيضا أحبك يا "دان" إلى درجة تخيفني .

الفصل الثامن

أول إبريل ، ذابت الثلوج ، أعلن الربيع عن قدومه.

أياما كاملة ظل المطر ينهمر على الشجر المزهر ، باعثاً الحياة في الألوان ، طارداً كابة الشتاء.

كثيرا أعجبت "إستير" بانهمار المطر ، كانت تعطي الانطباع بانها تُنظف وتُجدد كل شيء ، حتى إذا أصبحت الأرض موحلة .

- انها تمطر هكذا في " كاليفورنيا" من الجائز أكثر .

قالت لـ"ايدي بل دون" الذي جاء ليزورها:

في هذا اليوم ذهب " دان" لتسلم عقاقير . كانت الشابة وحيدة أمام البيانو وقد خفف عنها سماع هدير المحرك يقترب.

تساءلت:

- كيف لا يكون عندك مدرسة اليوم ؟ تذكرت " إستير " أن الجسر الموصل إلى "بوكت" قد فاضت عليه المياه.

أطفال "بل وود" عندهم يوم إجازة .

- سوف نعوض ما فاتنا في يوم لاحق- أعلمها " ايدي" وهو يدخل إلى المطبخ كان أمرأمعهوداً . كان منسوب النهر يرتفع بسبب الأمطار .

www.elromancia.com

كانت " وستفيلد" على نفس الضفة لـ" بل وود" .

- وصعوبة الأمر لم تكن لتمنع عمال المناجم من حمل مشترياتهم هناك .

إلى درجة أن عدم استعمال الجسر لم يكن أمرا ذا أهمية ويجب أن يكون الأطفال مسرورين . "إستير" كانت مطمئنة ، لأن "دان" سيعود للغداء .

- كان "إدي" يأتي دائما بعد المدرسة أو بعد الظهيرة في نهاية الأسبوع ، لم يشعر بالراحة الكافية لكي يدخل إلا بعد بضع زيارات . مواضيع الحديث لم تنقطع .

- كانت الشابة سعيدة لشعورها بأن هذا المراهق كان واثقا بها .

- هل كان شعوره بعدم الارتياح في الأيام الأولى يعود إلى شهرة السيدة أم إلى انعكاسات التقرير عن البطلة السابقة الذي كان والداه يقدمه له على أنه شيء غامض .

" ادي" يحدثها الآن بسلاسة عن طموحاته وآماله .

كان يذهب حتى إلى حد مداعبتها والتفكه معها .

كانت "إستير" تجده جذاباً جداً حيث كان الفتى المراهق ذكياً وحساساً وبشكل غريب قريباً جداً من الفتاة الصغيرة ذات الأعوام الستة عشر الخوالي .

هذه المرة أحضر معه لفافة مغلفة في ورق بني اللون - وكان حريصا جداً على ألا تصطدم بشيء .

قال قبل أن تبدأ في لومه :

- لا تبدئي في وعظي من فضلك .

- لقد قدت ببطء بسبب الأمطار .

- إنك مبتل للغاية .

- سوف أجف .

- اذهب في الحال إلى الحمام ، اخلع ملابسك وضع عليك القميص الخاص بـ"دان" سوف أضع ملابسك في مجفف الملابس . دامت اعتراضاته مدة قصيرة ، قدمت "إستير" شاياً مع الكثير من اللبن والسكر كما كان يحب بينما كان يغير ملابسه خرج مرتدياً القميص

وحاملاً حذاءه - كان يبدو غريباً بعض الشيء تساءلت الشابة وهي تمسك بالملابس المبتلة :

- أين جواربك ؟ .

- في حذائي .

- وهل هي مبتلة ؟

- بعض الشيء .

- إذن - اعطني إياها .

في انتظار أن تجف ملابس " ايدى " - جلسا في الصالون . كان المراهق لا يزال يحمل لفافته بحرص . تساءلت " إستير" الشاعرة بفضول : عم تحتوي .

- لقد وجدت هذا في المخزن الخاص بنا - كان هذا منذ وقت طويل وكنت أريد أن أريك إياه ، ولكن قبل ذلك يجب أن اطرح عليك سؤالاً .

أجابت :

- حسناً ، وهي تستلقي على الأريكة بجانبه- من أنت ؟ سأل بفجاجة : أريد أن أقول ، من أنت في الحقيقة؟ لماذا يكرهك والداي بهذا القدر؟

فغرت " إستير" فاها دهشة من غياب اللياقة واللباقة عن طرح السؤال ومن السؤال ذاته في نفس الوقت .

- بعد نقاش داخلي قصير ، قررت الظهور باكثر صدق ممكن دون الدخول في تفصيلات .

- تعلم بالتأكيد أن والدتي لم تكن متزوجة عندما أنجبتني ، فهي كانت قبلاً مثل "أدي ماركام" لم يكن الأمر يحدث مثل أيامنا هذه ، ولكن في ذلك الوقت كانت النظرة لهؤلاء السيدات سيئة . عملت أمي في المنجم وكان عندي ميل لأن أشعر بأني مثل الآخرين بعضهم لم يقبل ذلك ومنهم والداك .

- لماذا كرهاك دائما ؟

- لا أعلم مثلما لا أعلم لماذا يكرهاني الآن أيضا . افترض .

قالت بنية طيبة :

- أن هذا راجع إلى تربيتهما .

www.elromancia.com

قال:

- هناك سبب آخر .

عقدت "إستير" حاجبيها . كان من الصعب الدفاع عن تومي و"چيول بل دون" . الخصومة بينهم كانت مستترة ، ولكنها شعرت بأنها تريد أن تشوه الفكرة التي أخذها "ايدي" من والديه .

تساءل "دان" وهو يدخل إلى الغرفة :

- والآن . ماذا يحدث ؟ عودته المرتقبة لساعة الغداء - خرجت من رأسه . عند ملاحظته لوجهيهما - عقد "دان" حاجبيه بدوره .

تساءل "دان" :

- لقد أعطيتماني الانطباع أنكما بصدد نقاش جاد هل قطعته ؟

- نعم .

- لا .

اختلف رأيهما على هذه النقطة ..

- نحن نتكلم عن علاقاتي بوالديه .

- وهي لا تقول لي الحقيقة كاملة ، اتهمها "ايدي" بذلك تبادل "إستير" و"دان" نظرة فيها ذكاء . تناول الفتى المراهق اللفافة وفتحها .

تساءل من جديد وهو يبرز ما تحويه يده :

- من أنت حقا يا "إستير" ؟

- كان ذلك صورة شخصية صغيرة لـ"إستير" أو لشخص قريب الشبه جدا بها .

اعتدلت في جلستها وعيناها محملقتان .

الشابة التي في الصورة كان لها نفس الشعر القاسي السميك والأسود .

كال "بل دون" و"كإستير" ، عيون خضراء كاللوز شبيهة بعيون "إستير" .

- يا لله- ! علق "دان" : من هذه ؟ أين وجدت هذا ؟

- إنها جدتي لأبي . كانت من أصل "أوكراني" . وقد وجدت في صفحة بداخل الكتاب المقدس ورقة عليها شجرة العائلة . أعتقد أن اسمها "ميشا"

تساءلت "إستير" :

- هل تستطيع طرح سؤالك بطريقة مختلفة يا "ايدي" ؟

- ما صلة القرابة التي تربطنا ؟

- إن جدك كان والدي بشكل آخر ، أنا أخت غير شقيقة لوالدك.

- هل يعلم أبي بذلك .

- لو لم ير هذا أبدا فمن الممكن ألا يكون عنده علم . إن جدتك قد بذلت مجهودا كبيرا لتخفي عنه ذلك ، أجابت الشابة وحكت قصة طفولتها بطريقة مختصرة . لمحت في عيون "ايدي" إعجابا كبيرا وسعادة لمعرفته بصلة قرابتهما . ارتدى ملابسه واستعد للرحيل تاركا الصورة لـ"إستير" على الرغم من اعتراضه على ذلك.

- لقد اكتشفت ذلك صغيرا وأخفيته عن الجميع .

- لقد أخفيت هذه الصورة عندما رأيت صورتك لأول مرة في الجريدة. كان ذلك هو سري . احتفظي به . لا أعتقد أن والديّ عندهما شك في الأصل بأنها موجودة .

- إلى اللقاء يا عمتي "إستير" .

ثم أوصته بألا يستخدم ذلك اللفظ إلا بينهما فقط .

- وافقها بابتسامة ثم ابتعد .

- إنك إنسانة من معدن نفيس - يا عمة "إستير" - علق "دان" أثناء الغداء كان سهلا جدا على "إستير" أن تحطم صورة "تومي بل دون" أمام ابنه ! ولكن هذا لم يخطر لها على بال على الرغم من ورود ذكره في الحديث .

أجابت بتسامح مبالغ في حق نفسها :

- بالتأكيد .

إني ذاهبة إلى أعلى - إلى السماء الآن .

- هذا شيء يفوق الخيال - إذن - سوف أصحبك .

- إلى أين ؟

- إلى البيت الكبير .

بالتأكيد ، حتى تستطيعي الإلقاء بهذه الصورة في وجه "تومي" .

شعرت الشابة بالسرور لرؤيتها لـ"دان" مسرورا بفكرة إيقاف آل "بل

www.elromancia.com

دون" عند حدهم . مجرد رغبته في أن يفعل ذلك من أجلها قد أثر فيها .

ولكن تعبير وجهه كان يدل على عدم الاستحسان عندما عاودت الكلام:

- ماذا سيثبت ذلك ؟ أن أبانا كان زير نساء ؟ أن الدماء التي تجري في عروقي نقية كدماء "تومي" ؟ أنا أعلم ذلك .

أجابت :

- نعم ، ولكن "تومي" سيشعر حتما بالحرج . أخذت "إستير" وقتا في تنظيف الطاولة وتقديم القهوة قبل أن تجيب .

-إن رؤيتك له في هذا الموقف تسرك أليس كذلك ؟

- أعترف أنه كذلك . ولكن هذا راجع لاختيارك وفي الواقع، أفضل التدخل بصورة أفضل من تلك .

قال : ما رأيك في وظيفة رئيس قسم الجراحة بـ"واشنطن" ؟

قالت وهي متخوفة :

- أنا أفكر بذلك : ولكني خائف من أن أترك نفسي ثانية لعبة في يد الظروف .

قالت باسلوب مشجع :

- ما دمت تثق بقدراتك فإن هذا لن يحدث أبدا .

- وانت ؟ هل ستتبعيني إلى "واشنطن" ؟ هل تستطيعين الاستمرار في التاليف هناك ؟

- نعم ، إذا كنت تريدني .

- هل استطعت العمل قليلا اليوم أم أن "ايدي" قد شغلك طوال فترة الضحى .

- كان "دان" يثق بها وبحقيقة موهبتها .

شعرت "إستير" في داخلها برغبة في أن تجعله يعتقد بانها تنمي ملكة الخلق عندها في كل لحظة لانها هي الأخرى لم تكن لتقر بعدم قدرتها على التاليف . كيف يمكنها أن تشرح له ؟

إن العواطف موجودة ، قوية ومتقدة كما في السابق وكل هذا بفضل "دان" . إلا أنها كانت لا تستطيع ترجمة موهبتها خوفا من الفشل.

- أجد صعوبة في أن أستانف عملي - أجابت - إنه الربيع الذي

يشوش تفكيري .

- حقا ؟

قال عائدا إلى أول الحديث :

- لقد تركنا الحب جانبا .

حينئذ سمع الاثنان صوت محرك على الطريق ثم اقترب الصوت من المنزل - فسلما بامرهما تاركين المرح لوقت آخر .

صرخ "ايدي" وهو يدخل فجاة إلى المطبخ .

- دكتور ! دكتور ! تعال على الفور . لقد فاض النهرعلى غالبية المنازل التي على الساحل وقد انهارت . الناس في الشارع يصرخون .

"إستير": كل شيء مغطى بالوحل . لم يحدث فيضان واحد منذ خمس سنوات . في المرة الأخيرة استقبلت والدة "إستير" المشردين . شعرت الشابة بالفخر بـ"لورا برايت" . وقف "دان" قبل أن تستطيع تجميع كلمات "ايدي" في ذهنها . جمع الأغطية ومناشف الحمام ، مصابيح جيب ، حقيبته الطبية إلى جانب بعض الأدوات الأخرى . وبينما هو يضع معطفه كانت "إستير" قد فكرت في إمكانية مساعدتها هي الأخرى للمنكوبين عند عثورها على سترتها وحذائها العالي جرت للخارج لتلحق بـ"دان" الذي أمسك بكتفها مركزا نظره في عينيها .

أمرها "دان" : ابقي أنت هنا .

- لا تتظاهر بالبلاهة ، أستيطع انا أيضا تقديم يد العون .

- لا ، أفضل أن أشعر بانك في مأمن . ليس هذا وقت جدال .

استدار الطبيب جهة "ايدي" الذي خارت قواه بفعل الأمطار فقرر أن يستفيد من وجود السيارة . كانت "إستير" ثائرة . لم تكن تحب أن تعامل كغير مسئوولة كما لم يعجبها ذهابه قبل أن ينهيا النقاش . عند دخولها للمنزل ، بحثت عن صناديق من الكارتون وأخذت تعبئها بالقهوة وباللبن وبعصائر الفاكهة كل ما اعتقدت أنه يمكن أن يساعد .

وبعناء بالغ نقلت كل طرد حتى سيارتها الحمراء الصغيرة لم تقدها "إستير" منذ شهرين عندما جاء بها "دان" وهي نصف ميتة . كان عليها أن تقوم ببضع محاولات قبل أن تنطلق . ولكن من الواضح أن كل

www.elromancia.com

الظروف قد تحالفت ضدها لأن السيارة انغرست في الوحل بعد عشرين

مترا فقط أوقفت السيارة وهي تنزل بالشتائم عليها وتصفق بابها بعنف .

عادت إلى المنزل تحت المطر وهي تتعثر في الوحل .

استعدت لاستعمال الهاتف ولكنها تنبهت إلى أن الخط كان مقطوعا .

صرخت في سرها : لماذا لم تصحبني معك يا "دان" في البداية ، شعرت بانها تتخيل . ثم سمعت من جديد صوت أحدهم يطلق آلة التنبيه على الطريق .

- سيارة السباق هذه لن تنفع في نجدتك أليس كذلك يا "إستير" سخرت "أدي ماركام" .

- فور انتهائهما من نقل العلب إلى سيارة السيدة العجوز "البويك" ، سقطت "إستير" على المقعد الذي يجاور مقعد "أدي" .

- هذا مستحيل انفجرت "إستير" غاضبة .

لقد لاحظت انك لا تقودين دبابتك إلا في الطرق المرصوفة .

- وهذا لسبب ! لا أريد أن أجد نفسي محاصرة بالوحل مثلك .

ضحكت "أدي" من قلبها ، وانطلقت صوب "بل وود" . لمحت السيدتان النهر في البداية ، ومن خلال الأشجار لمحتا المدينة .

كان تيار الهواء يمر سريعا والماء في دوامة تجرف الأغصان والأشجار والطين .

ارتفع المنسوب من تسعة إلى عشرة أمتار عن المعتاد . رأت "إستير" امواجا تتلاطم على ما كان يسمى بـ"ريفرستريت" شارع موحل موازٍ لمجرى الماء . أبصرت زورقين يتجهان نحو المنازل المنكوبة . فكرت في أنه من الممكن أن يكون "دان" فوق واحد منهما ولكنها كانت بعيدة جدا لتتأكد من ذلك . فريق من المتطوعين كان قد حدد المنطقة التي سوف يختص بها في صالة الاحتفالات التابعة للمحافظة .

- كان المنكوبون متجمعين في مجموعات صغيرة أو على حدة كانت السيدات يبكين ، والأطفال الذين هم في عمر يستطيعون فيه إدراك ما حدث كانوا جالسين لا يعملون شيئا وباديا عليهم الاضطراب بينما

الأصغر سنا كانوا يتسابقون بمرح في القاعة . الأطفال الرضع كانوا يتظاهرون بالبكاء أو ينامون بين أذرع أمهاتهم . الجميع كان متسخا ، مغطى بالطين ومتعبا . وضعت "إستير" المؤن التي أحضرتها في المطبخ التابع للمحافظة وجهزت ترموس قهوة أثناء مرورها وسط الجموع لتعرض تقديم مشروبها الساخن . كانت تحل بطريقتها المشكلات الطارئة التي كانت تواجهها من توفير غطاء ، إيجاد طعام ، ركن للراحة بعض الأسيرين .

كان الوقت يمر ولكنه لم يكن كذلك بالنسبة للسيدات اللاتي كن ينتظرن عودة أزواجهن دهشت عندما نظرت في ساعتها ووجدت أن ثماني ساعات قد مرت وأن الليل قد هبط . كان بعض الجيران يعرضون المبيت على المنكوبين أو يحضرون أكياس نوم للذين سوف يمكثون بصالة الاحتفالات . كان النعساء يشعرون بالامتنان لهذه المعونة .

عملت "إستير" بلا انقطاع وفي النهاية هي تشكل فردا من هذا المجتمع .

لم يكن هناك أية تلميحات لاتجاه ماضيها ولا اتجاه شهرتها .

كانت الشابة تضع أطفالا في الفراش عندما شعرت فجاة بدنو أحد منها بينما تنظر حولها لمحت "دان" يتحدث مع رجال آخرين كان "ايدي" بصحبته وقد لاحظها أولا . وقد أعطى الطبيب ضربة مرفق لينبهه بالنظر إلى ما يشير إليه المراهق - تلاقت عيناه بعيني "إستير" لا انتقاد ولا شعور بالذنب في نظرتهما فقط السعادة للقاء وهما سالمان .

باتفاق متبادل شقا لنفسيهما طريقا نحو ركن أكثر هدوءا ووسط حركة الجميع تعانقا .

- لا تكرر ذلك مرة أخرى .

- لقد كنت على وشك أن أجن من الغضب .

مدركا تماما لما تقصده - ضمها "دان" بقوة أكثر نحوه .

- كنت أريد أن تكوني في مأمن . إني أحبك .

- لم تكن لي نية الانضمام إلى فريق الإنقاذ ولكن ببساطة كنت أريد تقديم العون .

- إن "تومي بل دون" يجوب كل مكان - أضاف "دان" :

- برأيي ، "بل دون" كان أكثر خطرا من الفيضان .

- هذا مخيف أجابت "إستير" وهي تحاول تفخيم كلامها :
ولكن باستطاعتي تسوية الأمر معه أيضا .
- لمعت عينا "دان" من شعوره بالفخر ومن إعجابه بظرفها .
- إنك صعبة المراس - أليس كذلك ؟
- طبعا .
- إذن ماذا حدث لسيارتك ؟
- إذن .. ذهبت إلى المنزل .
وافق الطبيب .
- لقد وجدت لك عملا ولكن عندما لمست الحالة التي كان سيارتك.
عدت للبحث عنك هنا .
- إنها "آدي" التي صحبتني .
- هذا رائع . يبدو عليها الإرهاق مثلك تماما . عودا أنتما الاثنتان إلى المنزل مع الطفلة ولكن احرصا على أن ترتاحا .
- أي طفل ؟
انتفضت "إستير" من فرط توقها لرؤيته لم تنتبه لحركته تحدث "دان" وهو محتفظ بخفة ظله وحنانه ولكن بجهد وبصوت متقطع .
- ماذا يجري يا "دان" ! هل حدث لك مكروه ؟ ما صلتك بهذا الطفلة التي حدثتني عنها ؟
- شوش بهدوء . كل شيء يسير على ما يرام - أكد لها . أنا متعب و...
- لا . هناك أمر أكبر من ذلك . أخبرني به .
نظر حوله وهو غير مرتاح .
كان "دان" في حاجة إلى كل صدق "إستير" ليطمئن - ولكنه لم يكن يدري كيف يفسر لها ؟!
قال "دان" وهو يقودها :
- تعالي ..
هيا بنا إلى الخارج دقيقة . كانت الأمطار مستمرة في الهطول والهواء يهب ببرودة . اخترق البرد جسد الشابة . من حسن الحظ أن السيارة "البرونكو" كانت رابضة أمام باب المحافظة . فتح "دان" صندوق

العربة بحذر وأخرج منه غطاء ليدثر به "إستير" أغلقه ببطء وجذبها نحوه دون أن ينطق بكلمة .
- كانت تود لو تستطيع مواساته بعد ما تأكدت من اضطرابه .
- لقد وجدنا رجلا وطفلة مباغتان بالانهيار .
هو جريح . يبدو أن الطفل ليس به سوى كدمات بسيطة. يجب إنعاشه قليلا ، كل الساعات . للتأكد من انه على ما يرام . إن لها أما ... ولكن لم يرها أحد .
اقترب "دان" من "إستير" أكثر .
- يجب علي أن أقوم بجراحة للأب . بالنسبة لهذه اللحظة سنقوم بعملية نقل دم له هو بحاجة للرعاية - لقد أصيب بنزيف داخلي - وفقد الكثير من دمه . كل شيء أصبح جليا - الطبيب الذي لم يقم بجراحات بصفة منتظمة منذ خمس سنوات - كان يشعر بالخوف.
قالت :
- ستستطيع يا "دان" لا أشك في ذلك لحظة واحدة .
بعزم بدا على وجهه الارتياح .
- أتعتقدين فعلا ؟
- بالتأكيد .
- سوف أستعين بعامل مناجم كان يعمل ممرضا خلال حرب "فيتنام" أخذ "دان" "إستير" من كتفها .
- إنني أطلب منك معروفا .
اصحبي هذه الطفلة الصغيرة إلى المنزل واعتني بها . اطلبي من "آدي" أن توصلك وأن تمضي الليلة معك . هل تستطيعين القيام بذلك من أجلي؟
أجابت "إستير" وهي دهشة من توقعه للعكس :
- بكل تأكيد !
فتح باب السيارة بدون أن يحدث صوتا وأخذ الطفلة التي كانت ملفوفة بداخل غطاء .
لاحظت "إستير" أن عمر الطفلة يقارب العام . شعرت بقلبها ينخلع وبالياس يغمرها لقد أمضت فترة بعد الظهر في تدفئة زجاجات

www.elromancia.com

الرضاعة ، تسخين طعام إيجاد ملابس للأطفال الرضع ولكن لم تأخذ أحدا منهم بين ذراعيها ولو مرة واحدة . لم تحمل أبدا طفلا بعد "دوني" .

ولم تكن ترغب في ذلك .

قالت : رضيعة .

- عمرها أحد عشر شهرا . جهزي زجاجة رضاعة عند عودتك لأنها سوف تكون جائعة عندما تستيقظ . ما كنت لأطلب ذلك منك يا "إستير" لو لم أكن في حاجة إليك . لا أحد يريدها وقد وعدت والدها أن أعتني بها . ودت "إستير" لو صرخت من الألم أو انتحبت ولكن رغبتها في أن تساعد "دان" طغت على كل ما بداخلها . إلا أنه يطلب الكثير .

بيدين مرتعشتين ، ضمت الطفلة إليها . كان وجهها ملوثا . حلقات شعرها الجميلة كانت ملطخة بالطين . على الرغم من ذلك كان للطفلة تعبير ملائكي حرك قلب الشابة لدرجة أنها كادت تسمع "دان" الذي كانت تتلاغى معه .

- يجب أن أذهب . عندما رفعت "إستير" رأسها كانت واثقة بأنها ستنال قبلة ولكن الطبيب كان قد استقر أمام عجلة القيادة .

- نادته: توقف ومن خلال زجاج سيارته تساءلت :

- ما اسمها ؟

- "سوزي" .

وبما أنه لم يكن هناك ما يقال فقد ذهب .

ثم قال "دان" : أحبك .

لعلمها بأنه لا يستطيع سماعها فقد تمنت أن يخمن . نامت "سوزي" طوال الليل بينما لم يغمض لـ"إستير" جفن من فرط القلق .

سهرت على الطفلة وهي تنصت إلى صوت تنفسها - كانت فكرة موتها ترعبها من دقيقة إلى أخرى ، أصبح بقاؤها شيئا أساسيا بالنسبة للشابة .

وأخيرا استيقظت "سوزي" وهي تصيح . على الفور هبت "إستير" ناحية الطفلة لترى العينين الزرقاوين الكبيرتين مفتوحتين، والنظرة البريئة القريبة الشبه جدا بنظرة "دوني" .

لكي تطمئن الطفلة - ابتسمت لها . مدت الفتاة الصغيرة يديها ناحيتها بقلب مفعم بالعطف ، شعرت بأنها تعود للحياة ماخوذة برغبة ظنت أنها قد ماتت .

- هل تشعرين بالجوع يا صغيرتي "سوزي" ؟ سوف أجهز لك زجاجة الرضاعة ثم بعد ذلك سوف أقوم بإعطائك حماما .

اتجهت صوب المطبخ وقامت بتسخين اللبن .

أخذت الصغيرة في المطالبة بطعامها بصرخات عالية أيقظت "آدي" . ظلت السيدة العجوز وهي متذمرة .

- والآن ، إن لك صوتا عاليا ! أسرعي في إعطائها ما تشربه إنها تبدو متمتعة بصحة جيدة .

- من الظاهر نعم. ردت "إستير" موافقة . هل تعتقدين أن "دان" سوف يستاء إذا اتصلت به لأستطلع الأخبار عن والد الطفلة؟

- لا . "دان" رجل متفهم .

- لقد قلت لك ذلك من قبل .

كان إطعام الطفلة أمرا لا يحتمل التأجيل .

أعطتها السيدة الشابة طعامها . قبل الحمام قررت الاتصال بـ"دان" . ولكن يبدو أنه كان هناك اتصال ذهني بينهما لأنه في لحظة وصولها إلى الجهاز - اتصل الطبيب :

- صباح الخير يا حبي . كيف حالك ؟

- بخير وأنت ؟ هل سار كل شيء على ما يرام ؟ لقد فكرت فيك طوال الليل .

ضحك "دان" وشعرت هي بالارتياح .

- لقد قمت بالعملية الجراحية كما لو كنت لم أتوقف عن الجراحة سوف يشفى . كيف حال ابنته ؟

- كان يعلم الحالة التي كانت عليها "إستير" طوال الليل لو أن عارضا قد حدث لكانت اتصلت به . ولكن "دان" كان يريد سماع صوت السيدة الشابة لهذا سبقها إلى الاتصال .

- إنها بخير وهي رائعة . كنت أستعد لاعطائها حماما لأرى لون شعرها .

www.elromancia.com

أتعلم لقد ابتلعت كأسا مملوءة لبنا .

قالت "إستير" بحماس :

- نبرة صوتها أعادت الهدوء إلى نفس "دان" وملأ قلبه شعور متجدد بالحب تجاهها : من الجائز أن يستطيعاهما الاثنان أن يكون لهما طفل أيضا في المنزل ...

- هي ممتلئة الوجه .

- نعم - انها لبهجة حقيقية .

- أعلم ولكن لا تتعلقي بذلك كثيرا لأن والدتها سوف تأتي قريبا لتأخذها .

هتفت "إستير" :

- حمدا لله . أليس بها شيء ؟

- بلى ، ولحسن الحظ ، لقد ذهبت إلى "بروكتن" أول أمس لتزور والدتها . لم تستطع المسكينة العودة لعبور الجسر . لقد أخبرناها أن بوليس النجدة سوف ينقلها بواسطة طائرة "هيلوكوبتر" انهى "دان" حديثه بالإعراب عن رغبته في المكوث بجانب المريض وبانه لن يعود إلا عند الغداء .

تساءلت "إستير" :

- هل نمت هذه الليلة ؟

- لقد حاولت ولم أنجح . لقد كنت افتقدك .

- إنك تمزح ! لقد استمتعت بمعاودة العمل في الجراحة ! اعترف .

- نعم ، هذا صحيح إنه من الرائع أن يمارس المرء اختصاصه ولكن هذا لا يعني أني سوف أفعل ذلك كل الأيام كان من الأفضل إغلاق الحديث إن "فستوس" ليرهق ابن أخته بما فيه الكفاية .

- و"ايدي" ؟

- حضر "توم" لأخذه هذه الليلة . لقد ساله عما كان يفعله طوال النهار .

- وبماذا أجابه ؟

- لا شيء بالتحديد .

- من الجائز أنه لم يكن علي أن أتركه يزورني .

- لا أعتقد انه كان بإمكانك صده . إنك تمثلين بالنسبة لها شخصا رائعا وبالنسبة لي أيضا بطبيعة الحال .

أجابت "إستير" :

- أحبك .

- وأنا أيضا . سوف أعود فيما بعد . استريحي إلى أن أعود كانت علاقة "إستير" بابن أخيها سوف تصبح علنية عما قريب . وكانت تدرك ذلك . ووالداه لن يقرا بذلك . هذا واقع .

التفاهم مع "جيول" و"تومي" أصبح لا مفر منه سوف تكون النتائج صعبة على "ايدي" ولكن لهذا الحين - آل "بل دون" ليست لديهم الأولوية .

كانت الطفلة في انتظار حمامها . شعرت السيدة الشابة بالمتعة تجاه ملامستها غريزة الأمومة لديها بدأت في الظهور على السطح مرة أخرى .

يا الله ! كم كان جلد الطفلة رقيقا ، رائحته الفريدة وكم كانت رائعة تلك الأصابع الصغيرة السمينة ...

- لقد أمضت باقي فترة الضحى في رفع التحف الخاصة بـ"دان" بعيدا عن متناول يد الطفلة .

قالت "آدي" :

- هذه الطفلة تستطيع قتلنا !

- لا ، "دوني" كان يفعل نفس الشيء عندما كان في عمرها . وهذا أمر طبيعي شعرت "إستير" بالم عميق عندما تذكرت ولدها ، ولكن لم يعد هذا بالجرح المفتوح .

- كانت "سوزي" نائمة عندما عاد "دان" مكث الاثنان يتأملان الطفلة النائمة في الفراش الكبير الذي كان بسبب هذه الظروف قد الصق بالحائط وأحاطت به الكراسي من الجانبين .

- إن والدها يبعث لك بشكره .

همس : بماذا شعرت يا عزيزتي ؟

إنه كان مستشعرا ألمها ، كما كان يفهم إن كانت نبرة صوته كاشفة لذلك وضغط ذراعه على كتف "إستير" لتثبتها . تأثرت السيدة الشابة

www.elromancia.com

بذلك وشعرت برغبة قوية واقتربت من "دان" .

تساءلت بصوت مخنوق :

- "دان" اريد طفلا هل تريد ذلك ؟

ما إن تطلبي ذلك فسيكون بإذن الله ووعدها وهو يعانقها ما رأيك بطفلة صغيرة كـ"سوزي" ؟

قالت "إستير" حالمة :

- وتكون لها عيناك السوداوان .

أضاف "دان" :

- وشعرك الطويل الأسمر .

- سوف أخبرها كل يوم أني أحبها .

كان "دان" واثقا بذلك - إن طفلا بالنسبة لها يمثل هبة من الله. قال وهو يمثل ليستدر عطفها :

- سوف أثبت لك ذلك مرتين يوميا !

همست بنظرة إلى "سوزي" ، عرضت على "دان" بعينين لامعتين أن ينتفعا بفترة القيلولة .

أجاب :

- فكرة حسنة .

- و"أدي" ؟

- لقد توارت عندما حضرت قائلة : إننا نستطيع طلبها إذا احتجنا إليها .

- إن تلك براعة من جانبها !

- في الواقع ، لقد حدثني عن وميض في عيني تعرفه . جيدا ابتسم "دان" للفكرة بينما يضم "إستير" إليه .

اتعلمين لو أننا نعرف قيمة فترة القيلولة لأمكننا التعبير عن حبنا ثلاث مرات في اليوم وربما أربع .

الفصل التاسع

في وقت متاخر من بعد الظهر - صحب ضابط البوليس والدة "سوزي" . شعرت "إستير" بالسعادة وبالغيرة في ذات الوقت أن يصبح الوالدان سالمين وبصحة جيدة كان يمثل سعادة غامرة ولكن اضطرارها لإعادة الطفلة كان ذلك يحزنها .

انحنت السيدة الشابة لأخذ الفتاة الصغيرة بين ذراعيها بينما كان "دان" يفتح باب المدخل . حاولت التخزين في ذاكرتها مدى روعة الاعتناء بطفل وهي تمشط الشعر الأشقر .

عاد الطبيب تتبعه سيدة شقراء نحيلة أشرق وجهها عندما لمحت "سوزي" .

صاحت :

- "سوزي" طفلتي !

- توقفت فجاة ونظرت إلى "إستير" بقلق . شعرت تلك الأخيرة بأن سلوكها كان متملكا للغاية ضمت الطفلة إلى أمها وهي كارهة .

- شكرا لاعتنائك بطفلتي .

- لقد شعرت بالارتياح حقا عندما علمت أنها في أيد محبة .

www.elromancia.com

قالت وهي تضم طفلتها إليها :

- شكرا جزيلا .

كان هذا من دواعي سروري .

- إنني سعيدة لاني كنت ذات نفع . لو احتجت من جديد أية مساعدة اثناء ...

- اشكرك ولكن الضابط سوف يصحبنا إلى جدتي .

- كل شيء انتهى على خير . إنني مسرورة من أجلك .

- وانا ايضا . لم نفقد سوى بعض المتاع .

كانت للام الصغيرة عينا ابنتها .

شعور بالأسف . انفصلت "إستير" عن سوزي" صحبهما "دان" إلى السيارة ورجع مسرعا لأخذ الشابة بين ذراعيه .

ابقاها كذلك لحظة حتى تتمالك نفسها .

سالها وهو يمازحها بلطف :

- هل مازلت تريدين الفتاة ذات الشعر الأسود والعينين السوداوين ؟

- عندما نتزوج .

واستطرد إذن متى سنتزوج ؟

كانت كلمات "دان" مؤثرة . كانت "إستير" تدرك انهما مرتبطان إلى الابد سواء تزوجا ام لا .

- عما قريب . يجب علينا أولا اتخاذ بعض القرارات .

- أية قرارات ؟

- لا استطيع العيش هنا بصورة نهائية .

- كنت اتساءل متى ستتطرقين إلى هذا الموضوع .

- هل تودين الرجوع إلى "كاليفورنيا؟

أجابت :

- ارى نفسي مناسبة في صورة زوجة جراح في "واشنطن" لا .. ليس بالضبط .

شعرت انه توتر فجاة ولكنه لم يبتعد كان ينصت - وقرر ان يحدثها في الأمر .

- لنحاول يا "دان" - لقد تغيرت - واصبحت اكثر صلابة ولن يحدث

ذلك مجددا ابدا لم تكن قد تهيأت عند تخرجك في الكلية لهذه المصاعب بعد - برهنت "إستير" اعط نفسك فرصة جديدة للنجاح .

- تفرس الطبيب في وجهها طويلا . من اين لها ذلك الإيمان القوي ؟ وماذا إذا فشل من جديد ؟ كيف سيتحمل نظرة الإحباط في عينيها ؟

- أيجب عليك الرحيل فورا ؟

- لا بالتاكيد . ولكن يجدر التفكير بالأمر .

- إذن . اتركي لي بعض الوقت لافكر في كل ذلك .

قالت مؤكدة :

- خذ الوقت الذي تريده .

باعدت بينهما مسافة قصيرة . كان "دان" أكثر هدوءا من عهدها به وكان يتكلم بطريقة غريبة . اقلق هذا "إستير" هل ضغطت عليه أكثر من اللازم ؟ هل هي تجبره على الاختيار بينها وبين "بل وود"؟

من هي كي تسدي له النصيحة ؟ على الأقل هو باستطاعته الحديث عن مخاوفه بينما هذه المخاوف تسكتها . إذن ما قيمة الثقة التي تود توفيرها لـ"دان" بينما هي غير قادرة على الثقة بنفسها .

رجع "دان" مرتين إلى المستوصف للاطمئنان على حالة المريض : في المرة الثانية عاد ليجدها نائمة على كرسي تحت تاثير إيقاع الثماني والعشرين ساعة الماضية . نام الاثنان من التعب دون أن يلفظا بكلمة .

توقف المطر اخيرا ولكن كان يجب الانتظار يومين آخرين حتى تتحسن الأمور .

رفع الناس ما استطاعوا من الطين والانقاض . رغم الخسائر .

الجميع كان ممتنا . لانه لم يكن هناك ضحية واحدة .

اعجبت "إستير" بهؤلاء القوم . معا كانوا يعيدون البناء مع المنكوبين للعودة إلى حياة طبيعية . انضمت الشابة إليهم لتساعد قدر استطاعتها .

كان شعورها بانها مفيدة يفرحها إضافة إلى أن عملها كان يحول دون شعورها بالتعاسة . صحبت نهاية شهر إبريل الشمس معها مما جعل العمل أقل متعة .

في أحد الأيام المشمسة . وجد "دان" وقتا لملاقاتها في موقع العمل .

www.elromancia.com

كان يفتقد "إستير" .

قفز قلب الشابة من الفرح لرؤيتها السيارة "البرونكو" .

- كم كان جميلا وهو يرتدي البنطلون "الجينز" وقميصا قطنيا! كم كانت فخورا لتقبيله إياها أمام الجميع !

استطاعت تخمين حالته عندما سمحت لها الأيام المشمسة برؤية عضلاته المفتولة .

سأل "دان" :

- من أين أبدأ . هل أخبرتك باني أجدك رائعة والطين على أنفك؟

ثم استدارت ناحية "دان" :

- استعانت بكم قميصها لتسمح أنفها .

- هكذا أفضل ؟

مازحها وهو يمسح بحذر ما تبقى من الطين :

- ماذا سيقول معجبوك عند رؤيتك ؟

- وماذا تقول أنت ؟

- لقد قلته بالفعل . سوف تعودين كما كنت بوجنتيك المتوردتين وصحتك الجيدة .

قالت ضاحكة :

- لقد قمت بعمل جيد يا دكتور .

- هل مازالت نحيفة ؟

مرر "دان" يديه إلى خاصرتها برفق .

- قليلا - ولكنك لست حقيبة العظم التي كنت عليها في شهر فبراير .

صاحت :

- حقيبة عظم ! سوف أريك . خذ ما دمت أنا حقيبة عظم وضع الطبيب أصبعه على شفتيها لإسكاتها .

- سوف أبرهن لك أني أقدرك سواء كنت ممتلئة أو نحيفة .

ما إن تصبحي بصحة جيدة .

- أحقا ؟! إذن سوف ألزمك بتنفيذ وعدك . طبع قبلة خاطفة على جبينها .

- هم في حاجة لمساعدتي - بفضل الطقس .

سوف نلتقي لاحقا .

ابتعد "دان" ولكنها سمعته يتمتم :

- لست في حاجة لأن تعلمني باني أفضل النساء الممتلئات .

صاحت "إستير" :

- أوه !

استدار الطبيب بابتسامة خبيثة على شفتيه وأشار لها بيده .

- إن منزل آل "بترسون" كان قد تهدم بالكامل . كان الرجال قد بدءوا العمل به رافعين ما استطاعوا من الأنقاض . ضعفت احتمالات الانهيار . استطاعت العائلة بمعاونة الجيران رفع ما أمكن إنقاذه .

مدت "إستير" يد العون لـ"دوتي بترسون" منذ الصباح . وضعت في شاحنة صغيرة أطباقا وملايات . أغطية . فناجين . أكوابا وأدوات أخرى لتنظيفها .

لقد قامت بغسلها وتخزينها عند واحد من الجيران .

عندما سمعت صوت محرك الدراجة البخارية الخاصة بإيدي كانت "إستير" تقوم برحلتها الثالثة . كان عندها اقتناع بانه سوف يأتي لرؤيتها حتى الآن . كانت لقاءاتهما وصداقتهما مختبئة بحذر داخل جدران منزل "دان" .

ومقابلة علنية قد تؤدي إلى اندلاع موقف هي متخوفة منه وتحاول تفاديه منذ سبعة عشر عاما لا لأنها لازالت تحاول الهروب من ثورة "تومي" ولكن لأن الرغبة في الانتقام قد تلاشت .

- أصبحت لا تشعر إلا بالشفقة على أهالي "بل وود" لضيق أفقهم كما سبق وشرحت لـ"دان" . لم تكن عند "إستير" النية في تدمير حياة من آذوها كثيرا . إلا أنها لن تهرب أبدا . توقفت "إستير ونظرت حولها . وشعرت بالرغبة في التحدث مع "إيدي" أمام الجميع بما أنها تضمن أن حديثهما سوف يكون بعيدا عن الآذان .

خلع خوذته واقترب منها .

قال ممازحا :

- سلام عمة "إستير" .

- أعتقد باني سبق وان حذرتك بعدم مناداتي هكذا أمام الناس

www.elromancia.com

عقبت:

- نعم لقد قلت لي ذلك ولكن لا يعنيني أن يعلم الناس اننا أقارب.

قال مدافعا :

- انا فخور بذلك .

- شكرا جزيلا - ولكن خذ في علمك أن والديك لن يحبذا ذلك ولكن الفتى المراهق عبر طريقة ما عن عدم احترام لأبيه .

- "ايدي" انا لا امزح - أكملت بحزم . كل يوم منذ الفيضان وهو يمر بالضواحي ولو رأنا معا لن تسير الأمور على خير .

قال الفتى المراهق شاكيا :

- هذا ليس عدلا .

انا ايضا لي حقوق . أستيطع التحدث إلى من أريد وخصوصا إلى عمتي.

أجابت "إستير" بالموافقة وقالت : معك حق ولكن لست انت الذي تعظ والدك ولا انا ايضا .

- لماذا انت ثائرة عليّ ؟ إن والدي هو الذي لا يحبك . تستطيعين أن تجعليه يعرف من أنت ؟

قال الولد :

- من سيدرى انكما لستما صديقين ؟

ولم يكن مقتنعا بما يقول ولكن كان عنده أمل .

- اسمع ، لا يجدر بنا تحريك المياه الراكدة . تحريك الماضي سيكون مؤلما بالنسبة لنا جميعا . كان والدك من الكرم معي بحيث لم يعترض طريقي طوال فترة وجودي هنا .

- صاح غاضبا : كل هذا رائع ، وانا - ماذا عني ؟ هل انتهى ما بيننا؟

رن صوت هسيتري وراءهما . استدارا ليريا "چيول بل دون" تقترب منهم ثائرة . كانت "إستير" تعرف تلك النظرة لأنها راتها من قبل . انتابها رد فعل طفولي وشعرت بخوف رهيب يغمرها .

قالت "چيول" باستهزاء :

- كان يجب عليّ أن أرتاب في أمرك .

لم تغيرك النقود مازلت ابنة الغانية .

- ماما ! اعترض "ايدي" مرتعبا .

أمرت والدته :

- ابق بعيدا عن هذا الموضوع يا "ايدي" . ليست عندك أدنى فكرة عمن تكون هي .

فجاة اتسعت عينا "إستير" لم يكن هناك ما تخافه .

لم تعد تلك الطفلة التي يسهل هزيمتها وجرحها بالكلمات. شعورها بهويتها لم يكن له أدنى علاقة بغياب أو بوجود والدها .

كانت "چيول" امراة غبية ، سريعة الاغتياظ ووحيدة - كانت "إستير" تشعر بالشفقة عليها .

كان "ايدي" مذهولا أمام سلوك أمه - لم يكن يستطيع مواجهة نظرة أي من السيدتين . من وراء كتف "چيول" رأت "دان" يقترب بخطوات ثابتة . كان معه آخرون .

انقبض قلب الشابة . ليس عليها فقط أن تتصارع ولكن سيكون هناك أيضا جمهور يشاهدها . مرت لحظة تمنت فيها عدم تدخل "دان" ومن معه قبل أن تكتشف سبب تدخله . سيارة "كونتنتال" سوداء دخلت إلى شارع "ريفرستريت" واقتربت منهم أغمضت "إستير" عينيها .

كانت من كل قلبها تريد أن تتذكر ان الحياة قد أعطتها أكثر مما أعطت "چيول" و"تومي بل دون" . المهم هو حفاظها على هدوئها ولطفها. كانت لديها كل الأوراق الرابحة ولكنها كانت تفضل عدم استخدامها .

كانت في أعماقها تريد أن تغفر ولكن المراهقة ذات السادسة عشرة عاماً استعدت للدفاع .

- إني أعلم نياتك يا "إستير برايت" .

بدأت "چيول" هجومها لم تستطيعي إغراء "تومي" فجئت تحاولين مع "ادي" . إن عمره لا يتعدى السادسة عشرة عاماً. سوف أوقفك عند حدك.

- كان جديراً بـ"تومي" أن يطردك من هنا كما اقترحت عليه . وسوف نجد طبيباً آخر .

- عمن تتحدثين ؟ تساءلت " إستير" .

www.elromancia.com

- عنك يا غبية .
- أكملت الشابة دون الالتفات إلى الإهانة .
- ماذا كنت تقولين بخصوص " دان"؟
اقترب "دان" من "إستير" .
قالت "چيول" باستظراف :
- إن هذا مؤثر . هل جئت لنجدة نجمة الروك الصغيرة يا دكتور ؟
بدأ "دان" :
- اسمعي مدام "بل دون" ...
اعترضت "إستير" :
- دعيه خارج هذا الموضوع !
- هاها ! إذا أرغمناك على مغادرة المدينة فسيرحل معك . إذن يبدو أن الأمور قد تطورت ...
سخرت "چيول" وقالت :
- بالمناسبة . إلى أين وصلت معه ؟
لم يجب أحد لأن الانتباه كان قد شد إلى السيارة الأنيقة التي توقفت بجانبهم . إلى جانب مجموعتهم الصغيرة وقف جمع آخر وصل التوتر إلى أقصى درجاته عندما نزل "تومي بل دون" من سيارته .
وسأل متجها ببصره ناحية "إستير" :
- ماذا يجري ؟
قالت "چيول" وهي توعظه :
- جئت في الوقت المناسب . لو كنت قد تصرفت بما نصحتك به لم نكن لنصل إلى هنا .
- عم تتحدثين ؟
وجه كلامه إلى زوجته كما لو كانت تعاني مرضا عقليا ...
- لقد فاجأت هذه الغانية وهي تحاول إغواء "ايدي" على حسب ما سمعته فإن شيئا ما بالفعل قد حدث ؟
- كان "ايدي" يسألها إذا كان كل ما بينهما انتهى - قالت : نافثة حقدها .
- كان يبدو على "تومي" التشكك وهلة ثم ارتسم على وجهه تعبير

غريب .
أصبح الصمت ثقيلا بينما هو ينظر إلى "إستير" . ثم نطق أخيرا بنبرة مراهق حانق وحقير :
- أخبرني - يا بني - هل مازالت تنظم الشعر ؟
في نفس اللحظة شعرت "إستير" بـ"دان" يقترب فاعترضت طريقة لتوقفه . إلا أن نظرها ظل مركزا على "ايدي" . كانت تتوقع هجوما أكبر من جانب "تومي" .
- بالتأكيد كانت غاضبة ولكنها لم تكن لتدع الإهانة لتجرحها إلا إذا أرادت هي ذلك . كان الفتى المراهق يشعر بالضيق أكثر منها .
قال "تومي" ضاحكا :
- "إستير" ليست كما تزعم يا أبي - أنها لم تكن هكذا أبدا .
- حقا ؟
- نعم .
- لقد كانت رقيقة معي لا لشيء أكثر من ذلك . إني أحبها كثيرا .
- أتمنى ذلك .
كان يبدو عليه الاستهزاء ولكن أيضا كان يبدو أنه متفهم لما يريد ابنه قوله .
كانت "چيول" تدمدم من الغضب . همس "دان" بشيء واقترب بشيء من العنف مما دفع "إستير" للاستدارة نحوه لتهدئته .
همست . من فضلك . سوف أساعد "ايدي" لو اقتضى الأمر . نستطيع التصرف .
تراجع كارها .
- إنك مخطئ تماما يا أبي . إنه أنا الذي بدأ بزيارة "إستير" لم تعرض عليّ أبدا المجيء .
- لقد تجاذبنا معا أطراف الحديث هذا ما حدث ببساطة .
قال "تومي" :
- إنها صديقة للجميع .
- لا. إطلاقا . أفلت "ايدي" من فرط الثورة وقال : إنها أختك !

www.elromancia.com

صاح والده :

- يا إلهي !

نزل عليه الخبر كالصاعقة .

قال : أخبريه يا "إستير" .

إنها الحقيقة يا أبي .

قالت بهدوء :

- ليس هذا بالمهم إنه يعلم بذلك ، على الأقل كان يشك بالأمر . أليس كذلك يا "تومي" ؟

ضاقت عينا "بل دون" من الغضب والغيظ . وكانت يداه مبلتين . لو استطاع أن يقتلها أو أن يجعلها تختفي للأبد لفعل .

كان الجمع يعلق على الحدث . اعترت "إستير" رغبة في الضحك . يا للسخرية في عدم استطاعتهم تجميع أجزاء هذه اللعبة المعقدة طوال ثلاثين عاما .

كان "تومي" الوحيد الذي يرفض الواقع ويبحث عن دلائل أخرى.

- ما الأسباب التي دفعت بوالدتي للعمل في المنجم ؟ ومن أين لها بالمال الذي استطاعت بواسطته تأجير المنزل ؟ لو أن والدتك كانت على قيد الحياة لأكدت لك ذلك الأمر .

- لقد دفعت لي لكي أغادر المدينة بعد موت والدنا مما يتعارض مع وعدها بتلبية حاجات أمي المادية .

علت الضجة . واحمر وجه "تومي" من شدة الغضب والشعور بالكراهية .

- والدتك لم تكن سوى ساقطة .

صرخ :

- نعم وأبونا كان على علاقة بها .

قال بغيظ :

- إن الأهل كانوا يتشاجرون باستمرار بسببكم ، لم أكن أعلم لماذا؟ كانت أمي تتكلم عنك دائما مما كان يثير جنون والدي . أنا لم أكن أفعل أي شيء جيد من وجهة نظره ، وظل يدافع عن مخلوقين بلا قيمة ، إني أكرهكم .

كان الحديث جارحا لـ"إستير" وكانت كراهية "تومي" ملامسته وقربه منها أكثر من ذراع "دان" الممتدة فوق ذراعها .

كانت تشفق عليه لمروره بفترة طفولة صعبة .

- أنت المسؤول عن كل هذا ، كانت والدتك غير مهيأة . كانت أمي تقول : إنه كان يجدر به تعليمها القراءة والكتابة . وأنت بسلوكك المتعالي كنت تظن أنك أفضل من الآخرين .

- لا أنت ولا هي استطعتما معرفة قدركما .

تنبهت "إستير" فجأة إلى صعوبة تقبله للتغيير الذي طرأ على مركزها الاجتماعي . فكرة أنها أصبحت غنية ومشهورة وناجحة كانت بالنسبة له شيئا لا يحتمل .. لماذا ؟ هل فكر هو الآخر في ترك "بل دون" ؟ كان يشبه ابنه كثيرا الذي كانت لديه طموحات أخرى غير أن يصبح مالكا لناجم "بل وود" .

كانت "چيول" صامتة وفي ذات الوقت مستمتعة بالإذلال الواقع على زوجها و"إستير" وأرادت أن ترمي بالملح فوق الجروح فقالت :

- إنك لمثيرة للاشمئزاز يا "إستير" . كنت دائما تشغلين بال "تومي" مشجعة إياه على الجري وراءك . وهو أخوك . حقا إنك لـ...

- اصمتي "چيول" - أسكتها زوجها . لا تعلمين عمّ تتحدثين كعادتك.

- بلى ، أعلم - أصرت - لقد أحببتك . لقد رأيت الطريقة التي كنت تنظر بها إليها .

- يا الله ! كم كنت سعيدة لرحيلها ! كنت ثائرا .

نظر لها "تومي" كما لو كانت تتحدث إليه باللغة اللاتينية .

ظهرت على وجهه تجعيدة . الجميع كان في انتظارا إجابته . انتهى أخيرا من التحديق إلى زوجته ثم حول نظره إلى الجبال ثم إلى "إستير" .

كان واضحا أنه ينتظر أن تنهي كلامها . كما كان يتوقع أن تعلن كل ما تعرفه عن ضعفه أو حتى أن تشهر به !

- كل ما أراه هو أننا قد جرحنا سنوات - بدأت كلامها من جديد . إنه من الظلم أن ندفع ثمن غلطة لم نقترفها .

كانت "إستير" في قمة الانفعال . هل كان يحق لها أن تتحدث؟ على أية

www.elromancia.com

حال فإن وقت تصفية هذه القصة قد حان .

- نسيان تلك السنوات سوف يكون مستحيلا ، قالت بيأس من الممكن أن ...

هز "تومي" رأسه نافيا . كان يبدو عليه أنه يعاني .

قال :

- لقد تأخر الوقت - لقد حدثت أمور كثيرة .

تفهمت "إستير" قراره ولو أنها كانت تشعر بخيبة الأمل .

سألت :

- وماذا بالنسبة لـ"ايدي" ؟

- لقد أصبحا صديقين . أقسم لك بأني لن أجرحه أبدا .

تأملها كما تأمل ولده . ظل "ايدي" صامتا . كانت عنده قناعة أن قرار والده سوف يكون منصفا .

- إنه كبير وله أن يفعل ما يحلو له - سلم "تومي" .

ولكن "چيول" اعترضت غاضبة وقالت :

- "تومي" .

سكتت عندما رأت النظرة الغامضة في عيني زوجها . بلا أية كلمة .

أخذ "تومي" بذراع زوجته وقادها وسط الجمع حتى سيارته وقبل أن يستقلها نظر مرة أخيرة إلى "إستير" ثم رحل .

استندت "إستير" إلى "دان" الذي كانت واثقة بوجوده خلفها . احتواها بذراعيه وبحرارة حبه وبصوت يغمره الإعجاب وسألها :

- كيف تشعرين يا حبي ؟

الصراع الذي بدأ عند ولادة "إستير" وصل إلى نهايته . بلا نصر ولا هزيمة .

الفصل العاشر

كان الوقت يمر و"إستير" تبحث عن إلهام ولكن من ذا الذي سيبالي بأي شيء في مثل هذه الفترة الجميلة من بعد الظهيرة من شهر مايو ؟

- كانت الشابة مستلقية تحت الشمس تراقب تلاحق السحب في السماء الزرقاء .

- كان صوت العصافير يطرب أذنيها ورائحة زهر العسل ترطب المكان . على مدى البصر كان هناك "دان" يغسل بعناية فائقة سيارتها الصغيرة الحمراء .

- أي شخص ذكي كان ليستفيد من هدوء ذلك اليوم . إلا أن "إستير" كانت تفكر بجراحها وبأن الحياة لا تأتي بشيء غير ذلك . لم تكن "إستير" تطلب من الحياة أكثر مما عندها اللهم إلا طفلا .

إن فكرة عثورها على السعادة في "بل وود" لتدهشها ! إلا أن نظمها للشعر كان يشكل بالنسبة لها حيوية .

كانت تفتقد الشهرة ولكن قلبها على الرغم من أنه مفعم بالعواطف لا ينتج شيئا . إن سهولة الكتابة قد اختفت .

كانت الشابة تشعر وكأنها قد حرمت شيئا ما . لو أنها فقط

www.elromancia.com

تستطيع أن تعمل لنفسها اسمها وحدها . هل يمكن أن يكون "سيث" هو السبب في نجاح أغانيها وليست موهبتها ؟

مجرد كتابة مقطع واحد جيد لم يتفحص حتى هذه اللحظة ، وهذا سيكون بداية .

- من جديد ، زفرت زفرة أسى . كان يجب أن تجد موضوعا يسيطر على تفكيرها ليقطع عليها قلقها الذي عذبها طوال عام كامل . كان النهار صحوا والشمس كانت دافئة إلى درجة يصعب معها تصديق أن الفيضان حدث منذ ستة أسابيع فقط . اختفت الخسائر تقريبا . كان المنكوبون يبحثون عن منازل جديدة . الإشاعات تقول : إن الشركة لن تقوم بالبناء مجددا فوق هذا الموقع. تحسنت حالة المريض الخاص بـ"دان" . الندبة التي في ساقه سوف تتطلب وقتا حتى تشفى تماما . هو وزوجته صحبا "سوزي" وبعثا ببالة زهور كبيرة للإعراب عن شكرهما لـ"إستير" التي شعرت بالامتنان لهذه اللفتة . كانت للطفلة مكانة في قلبها لأنها هي التي أثبتت لها أن بإمكانها إنجاب طفل آخر لو أمكنها التغلب على ألمها .

استمرت في تجنب التفكير في مشاكلها وتوقفت عند "ايدي" الذي كان يأتي باستمرار لرؤيتها .

لم يكن والداه ليمنعاه .

- هما لا يعلقان بشيء .

- أكد لها . في ذات الوقت أنا لا أقول شيئا ولكنهما يعلمان أني آتي إلى هنا . إن حديثهما الوحيد الآن هو رحلتهما السياحية المقبلة . يقولان : إنهما لم يريا سفينة في حياتهما .

تساءلت "إستير" :

- هل لم ير ياها فعلا ؟

- في الحقيقة لا أظن ذلك.

- وأنت ؟

- ولا أنا كذلك .

كان "ايدي" مسرورا لأن والديه لا يبحثان له عن نزل (مدرسة داخلية).

- في اعتقادي أنهما قد فهما أنني لا أريد الرحيل الآن . في ذلك اليوم قامت "إستير" بإعداد الحلوى بالشوكولاتة والتهمتها هي و"دان" على الفور .

- ولكن المدرسة الداخلية وسيلة طيبة بالنسبة لتأهيلك للجامعة . قالت :

- أن "بوكتون" مدرسة جيدة ولكن هناك ما هو أفضل منها .

- إن هذا لسيان بالنسبة لي . المهم عندي هو أن أحصل على درجات طيبة وأن أجتاز امتحان الثانوية العامة بنجاح .

قاطع "دان" :

- من الواضح أن "ايدي" عنده سبب أكبر للبقاء في "بل وود" .

نظرت "إستير" إلى كل واحد منهما على حدة بدوره وتبينت في نظرة "دان" وميضا جعلها تخمن . "ايدي" كان عاشقا . حتى هذه اللحظة ، لم ينجحا سوى في الحصول على اسم الفتاة وشكلها كان "ايدي" متكتما .

قالت "إستير" :

- يجب عليهما الاستفادة من كل لحظة .

وهي تحول تفكيرها إلى مدير أعمالها :

- إنك تضيعين وقتك - لامها "ماكس" في نفس ذلك الصباح . إن الاسم لا يبقى في الذاكرة إلا إذا كانت هناك أعمال جديدة .

- إن الناس تنسى بسرعة أنهم يسألونني باستمرار عن قرارك . استعدي للإجابة على جمهورك .

- كانت "إستير" تأمل في مهلة إضافية . كان "ماكس" يمارس ضغطا لجعل عملائه ينتجون . كل الفنانين يعرفون ذلك ، أي مدير أعمال يطلب دائما أقصى إنتاج في وقت قياسي .

على أية حال فإنه قد مر على وفاة "سيث" عامان . إن ذاكرة الجمهور ضعيفة وبالذات تجاه المنتج .

ودت "إستير" لو استطاعت التعبير بأعلى صوتها عن يأسها وفشلها

www.elromancia.com

اخذت تدير المشكلة في رأسها بلا توقف . لم تكن تستطيع إيجاد لحن فريد من نوعه ، عضت الشابة على شفتيها لتمنع نفسها من البكاء .

تساءل "دان" :

- هل أنت مصابة بالحساسية .

- لا .

ولكن حلقها كان مختنقا وصدرها مثقلا بالحزن .

- إنك تجدين صعوبة في التنفس . لقد قمت بعد أربعة تنهدات عميقة في خلال الخمس الدقائق الأخيرة .

- لا .

- هل تشعرين بالسأم ؟

- لا .

- هل تحبينني ؟

استدارت "إستير" على الجانب الآخر .

قال مبتسما :

- لحسن الحظ أنك لم تجيبيني بلا .

ما بك إذن ؟

أجابته "إستير" بابتسامة . من المؤكد أن يكون "دان" قد فهم . كان يشعر بنفس الألم - ولكن موهبته كانت على حالها ثابتة . إن عدم رغبته في العمل كانت مجرد فرط في الحساسية من جانبه . ولكن ماذا بالنسبة لها ؟

- لا شيء غير عادي .

إن عزة نفسها كانت تمنعها من الكلام . بدون الموسيقى ستكون امرأة عادية كالأخريات .

إن رغبة "دان" في أن يشعر أنها مختلفة عن الآخرين لتعذبها أنهى الطبيب عملية تنظيف السيارة ووقف يتأمل عمله .

- ليس سيئا . أليس كذلك ؟ إنها جوهرة .

- رائع وأجابت "إستير" بالموافقة . فعلا إن لديك يدين من ذهب أخذت

الشابة تنظر إلى الخيال الكبير الذي يقترب منها .

كانت متكئة على الغطاء على جانبها .

- لم تجيبي بعد عن سؤالي .

- أي سؤال ؟

- هل تحبينني ؟

- نعم ، تعلم ذلك جيدا .

- إذن ، لماذا لا تخبريني بما يضايقك ؟

نظر إليها "دان" كالذي يريد أن يعرف ما في داخلها . إنه يعرفها جيدا إلا أنه لا يستطيع أن يخمن كل شيء . أن يكون لها أفكار خاصة بها - هذا أمر لا يضايقه - ولكنه يعرف أن ما تخفيه يعذبها . هذا ما لا يستطيع تحمله .

- إنه الموقف الذي يحيرني .

- هل أنت تواقة لمغادرة "بل وود" ؟

استغرقت "إستير" في التفكير . هل سيغير هذا من الموقف ؟

لا ، هي تشعر بالراحة هنا . المدينة الكبيرة بصخبها لا تمثل لها شيئا .

- لا ، ليس الآن على أية حال . أشعر أني مازلت أستمتع بفصل الربيع .

عقد "دان" حاجبيه .

- ... إنك بالفعل لحالة خاصة . آنسة "برايت" .

قالت شاكية لتمازحه : ليست عندك أدنى فكرة عما أقاسيه ، يخيل إليّ من وقت إلى آخر أنني لن أشفى أبدا .

- إن هذا لأمر فظيع . آنسة "برايت" .

لننظر ما يمكننا عمله للتخفيف عنك .

- ما الأعراض ؟

- أشعر باضطراب في معدتي .

- إن هذا هو وقتها .

www.elromancia.com

- كيف وصل اضطراب معدتك إلى هذا الحد ؟ إن هذا لمؤلم . ماذا أيضا ؟

- أشعر بطنين في أذني .

- إنها نملة . سوف أقوم بطردها . حنى الطبيب رأسه نحو الأذن التي كانت مستسلمة له ثم نفخ فيها بهدوء فشعرت الشابة برجفة تعتريها .

قالت "إستير" :

- دكتور .. أشعر بخفقان .

قال ممازحا :

- فلنسمع ما يحدث .

قال مشفقا :

- يا لصغيرتي المسكينة .

همست "إستير" :

- أرجو أن تراقب صوت المحرك .

- سوف يسر لرؤيتنا هكذا في الحديقة .

- لا أريد أن أعطيه مثالا .

ضحك في سره . إستير" يا عزيزتي : إن "ايدي" عمره ستة عشر عاما وعنده كثير من الأمثلة بالفعل .

أخذت تفكر قليلا :

- اقترحت . عندما تبلغ ابنتنا عامها السادس عشر - سوف ندخلها مدرسة داخلية . هذه المرة غرق "دان" في الضحك قبل أن ينظر في عينيها .

- لا . أريدها أن تختبر الحياة . أن تصبح كريمة وصلبة وقديرة مثل أمها ! إن عليك أنت تعليمها ذلك .

بعد بضع ساعات خرجت "إستير" إلى المدخل لتتأمل النجوم. جاء "چاسبر" ليزورها . لابد وأن يكون قد شعر بقلقها . القط ذو العينين الخضراوين ترك الظل وجاء ليلتف حول ساقي الشابة . كان ينتظر من جانبها ترحيبا أكثر . ولكنه اكتفى منها بذلك وذهب تاركها لأفكارها -

كان "دان" قد ساعدها في تنظيف أواني العشاء ثم دخل إلى مكتبه .

- إن كمية الكتب والجرائد التي يجب عليه قراءتها كي يكون على علم بما جد في مجال الطب تفوق حد تصور "إستير" .

هذا كان يعني بالنسبة لـ"إستير" الكثير من الأمسيات التي ستقضيها وحيدة وبدون وجود "دان" أو "ايدي" لتسليتها، سوف تغرق في أفكارها من جديد . أصبحت أعصابها مرة أخرى مشدودة إلى حد الانهيار .

كان "دان" مدركا لعذاب "إستير" . كان يسمعها تخرج ليلا وكان يشعر بالقلق عليها . الأعذار الواهية التي تختلقها عندما تخرج بعد الظهر لم تكن لتقنعه كانت في غاية الاضطراب . كان يدرك هذا تماما وإن لم تحدثه بها .

بدأ الطبيب يقوم باستنتاجاته . لم تخرج ورقة واحدة من الصندوق الخاص بالموسيقى والذي كان قد أعطاها إياه في شهر مارس .

إن قدرتها على الابتكار لم تتجل في أي عمل جديد وكان هذا يؤلمها.

ترك "دان" الجريدة التي كان يقرؤها وجاب الغرفة بخطى سريعة إن تقييد "إستير" بـ"بل وود" بسبب جبنه لم يكن من العدل في شيء .

لقد أغدق عليها من حبه وتشجيعه ... لم يقدم لها سوى أعذار واهية وطلب منها مهلة أخرى .

كان الوقت يقتلها داخليا. الأيام العصيبة التي مرت بها عند مجيئها تطرقت إلى ذاكرتها . دون سابق تفكير وجد "دان نفسه عند باب المدخل ينظر إلى الشابة . كان يحمل لها في قلبه حبا عميقا يجعله يتألم لرؤيتها هكذا .

يجب عليه أن يعمل كل ما في وسعه لجعلها سعيدة . بينما هي سابحة في أفكارها . شعرت بالباب يفتح وذراع "دان" تطوقها. فجأة شعرت "إستير" بالارتياح بعض الشيء . كانت تشعر باحتياج كبير له ! هو لم يكن يضغط عليها ولا يطالبها بشيء . كان ببساطة يعشقها ويرضى بحبها في المقابل .

- هل انتهيت ؟

www.elromancia.com

- لم يجب "دان" على الفور تاركا لها الوقت للتفكير . ثم عانقها.

- يجب أن نتكلم يا "إستير".

- بخصوص ماذا ؟

قال محدقا في الليل :

- بخصوص فنك .

آخر ملاذ لها ضد الارتباك المسيطر على عقلها انهار تماما ليس من العسير اكتشاف فقدانها لثقتها بنفسها منذ الحادث .

قالت له راجية :

- لا ، من فضلك .

- يجب علينا ذلك ، يجب أن تكون هناك طريقة لمساعدتك . إن هذا ليعذبك بشدة .

- لا تستطيع فعل شيء من أجلي .

قال لها مشجعا :

- سوف أساعد على الاقل . تكلمي معي .

- ليس هذا كالجراحة يا "دان" .

- اعلم . ولكننا سوف نبحث فيما لا يسير على ما يرام ونحاول تغييره أنا و"بل وود" مسؤولان عن حالتك . نستطيع أن ننتقل إلى حيث تشائين . أستطيع أن أبدأ من جديد في أي مكان . إذا كنت بحاجة للوحدة نستطيع توفيرها أيضا .

ظل صامتا برهة .

- يا عزيزتي : أنا مدرك إلى أي حد الموسيقى مهمة بالنسبة لك. وأضاف : هي كانت موجودة في حياتك قبل أن أكون أنا . لا أستطيع تحمل فكرة حرمانك منها .

شعرت بشيء ما ينكسر بداخلها . تاثرت لاستعداده للتضحية من أجلها حتى وإن كان على حساب حبه لذاته .

- حسنا ! سوف أخبرك بكل شيء مشكلتي ها هي :

- لا أستطيع النظم ولا الكتابة لأني أشعر بالخوف خائفة من عدم

استطاعتي فعل هذا بدون "سيث" ، أشعر بتقييد كامل ، إني أدمر نفسي، أدمر ما يجعلني مختلفة . هل تفهم ؟ لست مسؤولا عن شيء يا "دان" . لماذا لا تحاول الوصول إلى حل لمشكلاتك الخاصة ؟ استطاعت بمشقة أن تنطق بتلك الكلمات ثم ندمت عليها.

ارتسم على وجه "دان" شيء من الذهول .

- "دان" ، أنا ...

أبعد "دان" اليدين الممتدتين نحوه قائلا : كان ذلك متأخرا جدا وأدار ظهره ودخل مسرعا .

هل كان يجب أن تدمر الشيء الوحيد الباقي ؟ سمعت "إستير" السيارة "البرونكو" تنطلق وباللقلق الذي أصابها ! إلى أين هو ذاهب ؟ ماذا سيفعل ؟ كيف سيمكنها الحياة بدونه . ابتعدت السيارة وسط غمامة من التراب .

صرخت :

- "دان" ، "دان" ...!

استندت إلى البوابة في حالة من الضياع ثم وقعت على ركبتيها تاركة اليأس ليغمرها .

ظلت "إستير" مستيقظة طوال الليل تنتظر عودة "دان" المعترضة. - ماذا سيحدث يا ترى عندما يعود ؟ سوف توبخ نفسها على تلك القسوة والانانية من جانبها . في غمار إحساسها بالعجز عن التغلب على ضعفها لم تستطع سوى هدم الحب والثقة التي تربطهما .

- يبدو أنها قد خلدت للنوم ، لأنها بعد فترة استيقظت على أصوات آتية من حجرة الطبيب . كان ظهره متجها نحو الباب ويجهز حقائبه .

قالت :

- "دان" أنا آسفة .

استدار ناحيتها ونظر لها - وقد ارتسم على وجهه تعبير غامض. شيئا فشيئا استطاع التفهم والحنان أن يخففا من حدة نظرته - أعلم ، "إستير" .

www.elromancia.com

- هل تستطيع أن تغفر لي ؟ ماذا بوسعي أن أفعل ؟

كانت ابتسامة "دان" غاية في العذوبة .

- أعلم أنك كنت مجروحة ، ليلة أمس ، قد سامحتك . ليس هناك مجال للتطرق إلى هذا من جديد .

أما وقد انهى الحديث وأصبح من المستحيل التفاهم .

شعرت "إستير" بقلبها يعتصر من الألم .

- من فضلك ، "دان" لا تلق بي خارجا . من فضلك ، استسمحته أعلم أني لا أستحق غفرانك ، لكن ...

عبر "دان" الحجرة وامسك بذراعها - سكتت دهشة .

- اسمعيني يا "إستير" . أنا أحبك . أكثر من أي شيء . لقد أحببتك دائما . الذي قلته لي لم يكن سوى الحقيقة فلماذا تنكرها لم ينتظر إجابة ، ولكن كان عذر الشابة شعورا بانه مازال لديه الكثير ليقوله .

- أود لو تتذكرين حديثك ، لانه ينطبق علينا نحن الاثنان ، إننا مختبئان هنا محاولين مداواة جراحنا وتهدئة مخاوفنا . إنك على حق لقد حان الوقت لان استانف حياتي ، لأن أواجه وأتصدى للمستقبل ، سوف أعود إلى "واشنطن" . إنها فرصتي الثانية ولن أدعها تفوتني .

كان يتكلم بثبات وكانت تدرك أنه في هذه المرة سوف ينجح .

- إن المرضى يمثلون بالنسبة له أشخاصا غير عاديين . سوف يبدأ "دان" في الاعتياد على أخذ الأمور بعين الاعتبار لن يكون هناك المزيد من الشفقة ولا المزيد من الشدة .

- أنا سعيدة بقرارك .

كانت نظرة "إستير" تنم عن الفخر مما خفف من حدة توتر الليلة .

- لو أمهلتني بضع دقائق ساكون قد رتبت حاجياتي و ...

هز "دان" رأسه بالنفي .

- لا ، لا أريد أن تتبعيني "إستير" ، لا تنسي مطلقا أني أحبك ولكن أمامك معركتك لتخوضيها بنفسك . لن يجدي اختباؤك ورائي في شيء ليس باستطاعتي مساعدتك . أنت تدركين ذلك وأنا أيضا أدركه .

أفضل شيء هو أن يناضل كل منا في طريقه وسوف نتلاقى . تحركت شفتا "إستير" لتعترض ولكنها ظلت صامتة . لم تكن تستطيع ولا ترغب في إبقائه .

حياتهما المشتركة لن تكون ناجحة إلا إذا استطاع كل منهما السيطرة على قدراته سيطرة كاملة .

طالت قبلة "دان" ضمها إليه وهو يحاول أن يتجنب النظر إليها . كان قراره هو الشيء الوحيد الممكن وكان يجب اتباعه .

لقد تحدث "دان" بأرق ما يمكن ولكن كان من الصعب رفع الألم عنه .

أخذت الشابة تفتش عن عذر لتأجيل رحيله وهي ترى السيارة البرونكو" تبتعد .

ولكن مر بفكرها سؤال . ماذا يحدث لو أخفقت ؟ لو اكتشفت عدم استطاعتها التأليف مجددا ؟ ولكن هذا السؤال جاء متأخرا .

www.elromancia.com

الفصل الحادي عشر

قال "دان" متذمرا :

- "فستوس" انت فظيع . لقد اخطات بان تركت نفسي اقتنع بكلامك . اسمع ، هذا يشكل جزءا من عملك ، لكن يدفع الناس مالا لقاء خدماتنا يجب أن تكون هذه الخدمات مقدمة على أحسن ما يكون .

- يبدو انه يجب عليّ أن اكون نموذجا حتى وانا في غرفة العمليات .

- لم يكن هناك مجال لطرح الأسئلة .

تنهد "دان" لم يستطع إخفاء استيائه . كان ذلك أقوى منه . لم يكن يستطيع نسيان "إستير" سوى في غرفة العمليات .

- بعد رحيله كان قد اتصل بـ"ايدي" على مدى أسبوعين ليستطلع أخبارا عن السيدة الشابة ، لأنه لم يكن يرغب في زيادة عذابه باتصاله بها مباشرة إلا أن "إستير" قد اختفت ذات يوم بعد ما قالت لـ"ايدي" : إنها مشغولة بشيء ما .

تلقى "ايدي" بعض النصائح فيما يخص القط "چاسبر" . هذا كل شيء .

منذ ثمانية اشهر لم يظهر سطر واحد في الصحافة يخصها مما أقلق "دان" كثيرا . كان يفتقد "إستير" بشدة .

من الجائز الا يكون قرار تركها وحددها هو الأمثل ... كل الاحتمالات مرت بذهن "دان" . لم يبق سوى الأمل .

- أمل أن تكون بصحة جيدة وأن تكون في أمان ، الأمل في الا يكون عليها أن تكافح طويلا .

أما بالنسبة له فإن استئناف نشاطه لم يكن به صعوبة .

في الشهور الأولى ، استطاع "دان" استيعاب كل التغيرات التي طرأت أثناء غيابه . إن بداهته وموهبته قد سهلا له عمله لقد استطاع أن يعتاد النظام بسرعة ونسي السنوات الخمس التي قضاها في "بل وود" .

كان الطبيب الذي أصبح جراحا يتحاشى جيشان عواطفه على أية حال كان ذهنه لايزال مشغولا .

ولكنه لم تكن لديه النية في أن يحرك ما في أعماقه لكثرة مشاغله . الأروقة والصالة الكبيرة بمبنى "بونسيون" تم اختيارها لإقامة الحفلة الساهرة . شخصيات من جميع الفئات كانوا مجتمعين لسماع "آدير دبلورثي" . لم يكن "دان" يرغب في المشاركة . كان يرى أن لون الزجاج واللون الوردي للحوائط لم يكن هناك أقبح منه . كانت الطاولات مرتبة في المكان الخاص بالجمهور - وكان يجب أن يدفع المرء ثمنا باهظا من أجل عشاء متواضع . امتلأت الشرفات بسرعة .

مرر الطبيب أصبعه تحت ياقة قميصه المنشاة .

كانت بدلته الـ"سموكنج" السوداء تتعارض مع القميص القطني الذي اشتراه في عيد الميلاد السابق .

شعر بالدهشة للتغيير الذي من الممكن أن يصيب الإنسان خلال عام واحد ! لا مزيد من السراويل "الچينز" .

- لقد قام بتبديل هذا الزي غير المتقيد بهذه الهيئة الجادة. شعر بالأسف عندما تذكر "إستير" - وأن مخاوفه وهواجسه قد أصبحت حقيقة .

www.elromancia.com

قال "دان" :

- متى ستغني السيدة العظيمة ؟ أريد العودة إلى المنزل .

رد "فستوس" :

- "أدير" ليست بعظيمة .

- يجب : إن أقول انه من الرائع استطاعتنا حضور حفلتها إن النقود التي سوف تكسبها سوف تسكت لك فمك على الفور :

- كيف توصلت إلى حضور هذه الحفلة ؟

قال "فستوس" شارحا :

- هي تعتقد في أهمية خدمة الطوارىء . إن رهاننا هذه الليلة هو أن تجمع أكبر قدر من الأرباح لنستطيع به افتتاح ملحق جديد بالمستشفى.

- على كل حال فإن الهدف نبيل ، يجب الاعتراف بذلك . هي ليلة واحدة فقط ... والعشاء لم يكن سيئا للغاية جلس في الخلف وأخذ يستمع لصوت "أدير" الذي أعجب به . ما تراها تفعل "إستير" في هذا الوقت ؟

- لو كان "دان" معتادا السير داخل الكواليس لكان عرف كل شيء ، كانت "إستير" و"فستوس" و"أدير" يدبروا شيئا لشهور .

الفكرة كانت لـ"فستوس" ،المطربة وفريقها قاموا بتنفيذ الجزء الأكبر من العمل .

كانت "إستير" تتهيب الجمهور .

قالت قبل الدخول إلى خشبة المسرح :

- عندي إحساس بأني سأموت، والتقت بالنجمة في غرفتها .

قالت لها "أدي" محاولة التخفيف عنها :

- هدئي من روعك ، تعرفين أن الأغنيات جيدة - لو لم تكن كذلك ما كنت اخترتها لمجموعتي القادمة .

- انا مشهورة بالفعل ولست بحاجة لاستجداء أحد ليكتب لي أغاني. يجب عليك أن تشعري بالخجل لكونك مرتبكة إلى هذا الحد !

ابتسمت "إستير" :

- لقد كنت أعتقد اننا أصدقاء ...

كيف لا تتذكر الزمن الذي كانت فيه صديقة لأناس لا تعرفهم حتى وإن كانت لا تركز صداقتها سوى في محيط ضيق من الأصدقاء ؟

إلا أنها بعد انتهائها من العزف على المسرح كانت مذهولة من الاستقبال الذي وجدته .

بعد رحيل "دان" شعرت بالاهتزاز على مدى خمسة عشر يوما وظلت تلوم نفسها على كثير من الأمور . جاء الطبيب الذي حل محل "دان" ليرى "إستير" بناء على طلب من "أدي" .

وقد عرض عليها اخذ حقنة "فيتامينات" . ولكنها لم تكن تعتقد أنها في حاجة إليها .

بعد بضعة ايام ، تركت "بل وود" وهي مصممة على المعركة مع ذاتها .لو فشلت فلن يكون ذلك بسبب ضعف في شخصها هي . كانت "إستير" تشعر بالرضا ، لأنها حاربته حتى النهاية .

- في اعتقادي ، تابعت "أدير" ، إن ما تخشينه حقا هو رأي الدكتور "جاكوبي" . أقسم لك "إستير" بأني أشعر بالفخر لاستطاعتي أن ألعب دورا في إعادة العلاقات بينكما .

- إني اقدر فعلا ما تفعلينه من أجلي .

- يا إلهي ! كم يجزل لي العطاء عن طريق تلك الإعلانات . بعد مرور دقيقتين سمعنا صوتا من خلف الباب ينادي : آنسة "ديلورثي" .

- سوف تكون الأمور على ما يرام يا "إستير" حظا سعيدا . ضحكت الشابة بشيء من العصبية .

- ولك أنت أيضا "أدير" .

وضعت "إستير" في تلك الليلة كل ما في داخلها من إبداع كانت مقطوعتها تحمل اسم "الإنسان والموسيقى" . كان الجمهور يشكل بالنسبة لها عاملا أساسيا لقياس موهبتها ، المنتجون ومديرو الأعمال أثنوا على عملها . استطاعت الكلمات واللحن أن يعلقا في أذهان

www.elromancia.com

وأسماع الناس وفي هذه المرة بدون صوت "سيث" وبدون هالة القداسة التي كانت تحيط به . و"أدير" كانت مطربة قديرة ، ذلك العمل كان بمثابة تخطيا للماضي ثم كان هناك "دان" أيضا . الذي انهالت مكالماته التليفونية على "فستوس" لتنبئ عن موقفه تجاه ما يحدث .

لم يكن مهما ما إذا أحب الطبيب موسيقاها تلك وإنما المهم كان أن يعرف أنها هي التي نظمتها .

- كانت "إستير" في حاجة لرؤية رد فعل "دان" لرؤيتها . كانت ستتأكد أن الثمانية الأشهر الماضية والشهور القادمة لتستحق أن تكون متلهفة لقضائها معه .

أخذت تراجع عملها بينما كانت "الأوركسترا" تعزف المقدمة . كان عملها يعبر عن موسيقى جيدة . وجدت نفسها قادرة على التعبير من جديد . بدأت الفرقة الآن في عزف بعض الأغنيات الشهيرة لـ"أدير" اجتاحت القاعة عاصفة من التصفيق والإعجاب ازدادت معها حدة التوتر لا مفر من المواجهة . كانت "أدير" تعطي أقصى ما عندها .

- كان صوتها الجلي وطابعها الخاص يشدان الجمهور . كانت "إستير" مرتدية قراء أنيقا من اللون الأسود يخفي تحته فستانا رائعا من الحرير الأبيض .

انضمت إلى الجمهور وأخذت تمرر في ذهنها كل أحداث العامين الماضيين ولم ترجع إلى الواقع إلا عند نهاية المقطوعة .

تقدمت "أدير" بشكرها إلى الجمهور وأعربت عن سعادتها للمشاركة في هذه المناسبة الخيرة .

وأخيرا شرعت "أدير" في قياس رد فعل الجمهور لتقييم "إستير" فقدمتها :

- هذا المساء يسعدنا أن يكون معنا شخص ابتعد عن المسرح مدة عامين . إنها مؤلفة وملحنة وموهوبة وقد قبلت أن تكتب لي بعض الأغنيات التي سوف تجدونها في مجموعتي الغنائية الجديدة . إنها أغان ذات طابع خاص .

- قبل أن نطلب من صديقتنا أن توافينا إلى المسرح وأخذ وعد منها على ألا تتركنا أبدا ، اسمعوني .

صفق معجبو "أدير" التي شكرتهم بابتسامة وطلبت منهم من جديد الصمت .

- إني أتطلع إلى شخص المفروض أنه موجود في القاعة . دكتور "چاكوبي" ، هل أنت حاضر هذا المساء ؟ من المكان الذي كانت "إستير" تقف فيه لم يكن باستطاعتها رؤية "دان" .

ولكنها رأته من الخلف عندما تركزت عليه الأضواء الكاشفة ونهض . شعره الأسود وقامته الكبيرة جعلا نبضات قلب الشابة تتسارع .

بابتسامة مرحبة بـ"دان" - وقد أعلنت المطربة عن مكانته العلمية منصب مدير قسم الجراحة - صفق الجمهور من جديد

كان "دان" في طريقه للجلوس مرة أخرى عندما رأى "أدير" تتقدم نحوه ويدها ممتدة إليه .

شعر هو بضرورة إيقافها من فرط دهشته واضطرابه .

- لا تشغل بالك يا دكتور .

- لقد نما إلى علمي أنك معتاد النوم أو الانصراف خفية أثناء العروض ولهذا فإني أرجوك أن تظل معنا عندما أترنم بأغنيتي .

تساءل مضطربا :

- لماذا ؟

أجابته بغموض :

- استمع وسوف ترى .

رجع الطبيب إلى مكانه . ماذا سيحدث يا ترى ؟ على الفور فكر في "إستير" تلك هي موسيقاها هي موجودة هنا حاول أن يلمحها بين الكواليس ثم اتجه بنظره نحو "فستوس" الذي ابتسم له ابتسامة لم يستطع أن يستنتج منها شيئا . تحت وطأة الحيرة والقلق شعر بأن الانتظار أصبح طويلا جدا .

بينما كانت "الأوركسترا" تعزف لحن المقدمة الموسيقية للأغنية التالية

www.elromancia.com

خرجت "إستير" من مخبئها وهي تنشد التنفس بعمق لتتشجع . اقتربت من الرجل الذي تحبه ببطء بينما "أدير" تغني :

- كانت بداخلي فتاة متشوقة للحرية . كانت تمتلك الأمل والأحلام والطموح لقد كبرت وأصبحت امراة وخبأت بداخلي رغباتها وقوتها وجاذبيتها لقد جعلت الفتاة الصغيرة التي في داخلي تكبر وقد وقعت في غرامنا . لقد أمنت بي وكانت تعلم انها في لحظات الألم سوف تستيقظ بداخلي . لقد تبعت قدري الفتاة الصغيرة التي تنام بداخلي كانت تملك مفتاح مصيري تعرف انه عليّ أن أحقق ذاتي كان لديها الأمل في الحب من جديد ، الثقة بالبدء من جديد، القوة لرؤية أوضح وللوصول إليك .

كانت تكاد تسمع المقاطع . كانت على وشك أن تلمس "دان" . كان يستمع بتأثر ، تعرف الجمهور عليها وحاول البعض الاقتراب منها - ولكنها أوضحت لهم بابتسامة أنها تريد أن تتوارى ؛ لكي لا يكون ظهورها قبل الأوان .

- وما إن انتهت "أدير" من إنشاد الأغنية حتى تكلمت بحماس وفخر قائلة :

- والآن نقدم لكم صاحبة الصوت الفريد من نوعه .. إنها الفنانة الموهوبة ... "إستير برايت" ؛ صفق الجمهور تصفيقا حادا بعينين مركزتين على "دان" استطاعت "إستير" استكشاف تعبيرات وجهه.

استدار فجاة - كانت عيناه السوداوان تعبران في أول لحظة عن عدم التصديق الذي حل محله السعادة والحب

همست "أستير" :

- قبل أن ينطقا ، ارتمت بين ذراعيه . وهو بدوره ضمها إليه بقوة قبل أن ينظر إليها مطولا . كان لديهما الكثير ليقولاه ؛ لم يقو إلا على نطق اسمها الذي أخذ يكرره بينما علا صوت صياح الجماهير نسيا الجمهور المحيط بهما في خضم مشاعرهما إلا أن صوت "أدير" أعادهما إلى الواقع .

- قبل أن نتركها لك يا دكتور نريد تذكيرها بجمهورها . هل تأذن لها بموافاتنا لحظة ؟

رد "دان" بالموافقة .

- اهتزت الجدران العتيقة من صوت تشجيع الجماهير .

ابتسمت "إستير" شاكرة .

- بضع دقائق فقط .

- ثم قبلها مرة أخرى ليستمر في الشعور بوجودها .

اتجهت "إستير" نحو المسرح . لم يرها الطبيب بهذا الجمال من قبل .

همست "أدير" في أذنها :

- انا سعيدة لأجلك يا عزيزتي ...

تمتمت "إستير" :

- شكرا ، شكرا على كل شيء . حيت السيدة الشابة الجمهور واتجهت بنظرها ناحية "دان" الذي كان يصفق بحماس .

قالت في مكبر الصوت . شكرا لكم جميعا . إنها لسعادة أن أجد نفسي بينكم مرة أخرى .

اتجهت "إستير" صوب "البيانو" وسط الضجيج الذي بلغ أقصاه.

بدأت في العزف منفردة ثم تبعتها مجموعة "الأوركسترا" والصوت الماسي لـ "أدير" :

- إنك الوحيد الذي تمهل في حبي ، الذي عرف كيف يكون الحب . لقد أعطيت معنى لحياتي ، تركتني أبكي وجعلتني ابتسم، لقد أمنت بي إنك الشخص الذي لا مثيل له في حياتي .

لقد تحايبنا ثم كان عليك أن تهجرني ، لا تذهب بعيدا جدا عني لن يدوم ذلك طويلا ، صدقني سوف أنتصر ، سوف أصل . تستطيع الاعتماد عليّ ، إنك تنتمي إليّ ، وداعا للحرية . إن قلوبنا قد ارتبطت للأبد .

- كانت "إستير" تعزف ونظرها متجه ناحية "دان" .

- لقد أصبح الحلم حقيقة . أقامت الأغنية عاصفة من التصفيق تقديرا لحبهما . غادرت الشابة خشبة المسرح . كانت بقية الليلة لهما .

كان "قستوس" قد عمل كل الترتيبات حتى يتمكنا من اللقاء في الغرفة الخاصة بـ "أدير" . كانت "إستير" تفضل المغادرة كانت في غاية الابتهاج ثم فجاة تذكرت حديثا مع "أدي"

قالت السيدة العجوز

- لا تتركيه يبتعد عنك يا صغيرتي . سوف تكون تلك حماقة منك الحماقة الثانية الكبيرة في حياتك

- ما تلك الحماقة الأخرى ؟ لم أفعل ما يسوء ، تعلمين كانت قد

www.elromancia.com

أجابت عليها "إستير" :

- الحماقة الأولى التي اقصدها هي تركك "إياي إستير" !ابتسمت الشابة . لن تهجر أحدا بعد الآن .كانت "أدي" بالنسبة لها الشيء الوحيد المضيء في طفولتها وقد هجرتها لأنها كانت تشكل جزءا من الماضي الذي كانت تريد نسيانه - أما الآن فقد أصبحت عاقلة وتنعم بحب ستعمل على تتويجه بالإخلاص والوفاء لأنه نعمة من عند الله يجب أن تصان متى التقى الاثنان وأصبحت حياتهما شيئا واحدا .

- كانت "إستير" محبوبة من أصدقائها من "أدي" وبالأخص من "دان" . هي تحبه أيضا .لم يكن ذلك بالأمر الذي يستهان به - ولكن كما أن الحب يعطي السعادة ! الفرح والعذاب وصراخ الأشهر المنصرمة كل ذلك قد أعادها للحياة مرة أخرى . سمعت الشابة صوت باب الغرفة الخاصة يفتح .استدارت لتلتقي بـ دان المبتسم - شعرت بأنفاسها تضطرب وهي تراه واقفا على المدخل وسيما . طويلا .

قال :

- مساء الخير .

- مساء الخير .

- شعرت فجاة بالاضطراب . هل ترتمي بين ذراعيه أم عليها الانتظار؟

- يقول الناس عنك : إنك عبقرية ولو سالوني عن رأيي لقلت نفس الشيء .ضحكت "إستير" وهي تتذكر أول محادثة حقيقية بينهما .

- لقد تغيرت نبرة صوتك يا دكتور . أعتقد الآن أنك سوف تعترف لي بأنك مجنون بحبي .

- لا . هذا يأتي في المرتبة الثالثة في القائمة التي وضعتها .تساءلت في ارتباك . كان قلبها يخفق بشدة والتوتر يخنقها آخر ما كانت توده "إستير" هو التكلم عن الماضي لم تكن تتمنى سوى أن تسمعه يعترف بالحب الذي يحمله لها

سألت "إستير" :

- ماذا ستقول إذن ؟

لمعت عينا "دان" من الفرح .

- لماذا تأخرت هكذا ؟

فتح لها ذراعيه فاندفعت نحوه .إستير وهي تطير بأجنحة السعادة مكانه

خاتمة

من يوميات فتاة صغيرة

"أسرت "إلين" إلي اليوم في أثناء حصة التربية البدنية .بان "جيف والستون" يحبني .ولقد حجزت له مكانا بجانبي في الحصة التالية ولكنه لم يحضر .اصطحبنا والدي في حفلة عطلة نهاية الاسبوع الأخير إلى "نيويورك" لحضور حفلة توزيع "الأوسكار" . ولكن رأي والدتي هو الذي تغلب في النهاية . فلقد ذهبنا لرؤية خالي "ايدي" وقد عرض علينا ابن خالي صورا للمبنى الذي سيهدمه ليبني مبنى جديدا بدلا منه .مارك" و"جاسون" يجدان ذلك ممتعا . لقد لعبت مع أصغر أولاده "هيذر"

- رجعنا بالسيارة .لقد أمضينا وقتا طويلا في الرجوع لأننا أخذنا طريقا مطولا عبر "بل وود"

قالت أمي : إنها كانت تسكن هناك عندما كانت في مثل عمري ضحكت عند رؤيتها للافتة القديمة المثبتة فوق المتجر الذي يبيع المشروبات وضحك أبي بدوره .لحسن الحظ إننا لم نضطر للمبيت هناك - لا أعرف كيف كانت أمي تجد ما تتسلى به.

www.elromancia.com

أريد قص شعري لا يمتلك أحد شعرا بمثل هذا الطول . إن أمي ترفض . هي تزعم بأنها لا تملك الشجاعة لذلك ، لأنه في غاية الجمال !

يرد عليّ والدي مازحا بأن في المدرسة الداخلية سوف يصبح قصيرا للحد الذي أريده .

جدتي "أدي" ماتت اليوم . أمي غارقة في دموعها . مراسم الدفن جرت في "بل وود" . لا أعرف لماذا ولكن تلك كانت رغبتها سوف أفتقد جدتي بشدة .

بما أنني كانت لي رغبة في قص شعري فإن "أدي" قد اقترحت عليّ أن افعل ما أريد .

لقد أمضيت الليلة عند "كلار" .

- في تلك الليلة قرر "توني وستسلبك" الاتصال بي عاود أبي الحديث عن المدرسة الداخلية والتي أشك بأنها دعابة قديمة بينهما لأن أمي ضحكت بدورها . هذا الصباح وجدت ذلك في كتاب التاريخ الخاص بي . أحاول كل يوم بكل الوسائل أن أخبرك بأنك حلمي . وبأني سوف أحبك دائما .

ماما .

- انا أيضا أحبك يا ماما .

"مارك" و"جاسون" يثيرون أعصابي . أتظاهر بعدم معرفتي بهم وفي تلك اللحظة بالضبط يأتي واحد منهم ليقرضني مالا أو لإعطائي رسالة من أمي .

عند رؤيتها لشعري القصير لم تعلق بشيء ابتسمت فقط ووجدت أن شكله هكذا أجمل . أسرت إلى بعد قليل بأن والدي كان على وشك البكاء .

تقول أمي : إني محظوظة وأن عليّ أن أشعر بالامتنان لكل ما لدي . أوافقه الرأي ولكني كنت أفضل أن أكون طفلة متميزة . والدي يؤكد بأني في يوم من الأيام سوف أقدر "مارك" و"جاسون" ولكني أشك بذلك على أية حال يجب أن أقر بأني محظوظة لأن لدي والدين بهذه الروعة ويتحابان بعمق .

تمت